

عبد الغفار السوي



مَذَارِئُ سُوسِ الْحَقِيقَةِ  
فَخْلَامُهَا - أَسَاقِيقُهَا

هيئة للكتاب ونشر

رضي الله عنه الوافي الغفار السوي

المغفور

محمد الفخار السوسي



مدار من سوس الحقيقة  
نضامها - أساتذتها

هيئة للكتاب ونشره  
رضي الله عنه الوافي الفخار السوسي



صورة المؤلف وهو في ريعان شبابه



# تقديم

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة تتبع فيها مدارس سوس، فأذكر من درس في كل واحدة منها، في رواية خيالية كسياحة، أمرٌ فيها على كل مدرسة، فأذكر ما أعرفه عنها، كنت أكتب ذلك ولكن لم أستم الموضوع، وبودي لو أجد فراغا لأتفرغ لتمامه، فيكون مستقلا في رسالة تتضمن كل نظام تلك المدارس...

سوس العالمة ص : 223

كان ذلك مشروع محمد المختار السوسي رحمه الله، وتلك كانت أمنيته بالنسبة لمؤلفه هذا، ولكن المتأيا كانت لمثل هذه الأماني والطموحات بالمرصاد، ليتيم ينتظر منذ عقود من يخرج له للوجود إلى القراء، المتعطشين إلى كتابات محمد المختار السوسي، التي تنبض صدقا وتفوح نراهة، وتلك الصفات وحدها هي التي تضمن لأي عمل بشري كان، الخلود والاستمرار .

وما نحن اليوم نضع بين يديك أيها القارئ الكريم ثمرة من ثمرات هذا الكاتب وهي تؤرخ لمؤسسات عظيمة، عظمة تاريخ مغربنا، مراكز علمية ساهمت في غرس بذور الثقافة العربية الإسلامية، في جباله وسهوله، رعتها وسقتها أيادي من عملوا بها وساهموا في سبيل إعلاء بنائها الشاغل، بتضحيات عز نظيرها .

والكتاب بفصليه كما سيلاحظ القارئ يتجاوز رقعة سوس، ليحكي تاريخ

المدرسة الاسلامية العتيقة في المغرب كله ودورها البارز في نشر اللغة العربية وعلوم الدين، مع إشارات ذكية وتعليقات إضافية، تفيد المؤرخ وتمتع الأديب، بأنها تنتزعه من حاضره لتعود بذاكرته إلى عالم ذلك الماضي المجيد، بعاداته وتقاليده، ولولا أمثال هذه الكتابات التي ترسمه حبرا على ورق حيا متحركا يتحدى الزمان، لأصبح في خبر كان أمام زحمة الحداثة والعصرنة

والكتاب أيضا ذو أهمية قصوى، خاصة إذا علمنا بأنه من بواكير بنات أفكار محمد المختار السوسي والذي خطه في السنوات الأولى من منفاه الالغي، وهو بذلك يسمح للمهتم بمتابعة مسار التأليف والكتابة عند هذا الأديب الكبير، والكتاب أولا وآخر مساهمة في بناء تاريخ مؤسساتنا التاريخية، هذا التاريخ الذي لما يزل في خطواته الأولى، وما أحوج مسيرته إلى مثل هذه اللبنيات التي تأتي الفينة بعض الأخرى لتعلي بنيانه وتقيم صرحه

وبعد، فقد حاولنا جهد المستطاع، أن نخرج هذا العمل مخلصا أبلغ ما يكون الاخلاص من مسودته الأصلية، محترمين لرغبات مؤلفه رحمه الله، متوخين الآمال في كل خطوات إعدادده، وإنا نلرجوا أن ينال هذا العمل رضى القارئ وأن يتقبله من عائلة أخذت على نفسها عهدا بأن تخرج وتنشر كل أعمال هذا العبقرى الكبير، لتكون بذلك قد أرضت روحه الطاهرة، وتؤدي بذلك الرسالة المنوطة بها، والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل

(الناشر)

رضى الله عبد الوافي المختار السوسي

# الفصل الأول :

## نظام المدارس وكيفية التدريس بها ويحتوي على

الباب الأول	مبحث القرآن
الباب الثاني	مبحث العلوم
الباب الثالث	مبحث الديانة





# الباب الأول :

## مبحث القرآن

ويتضمن

- 1 - المكاتب
- 2 - أجره المعلم
- 3 - نظام تعليم القرآن
- 4 - الراحة
- 5 - عادات تتخلل ذلك
- 6 - تأديب المعلم
- 7 - الحزب الراتب
- 8 - كيف تلاوة القرآن ؟
- 9 - كلمة عن ماضي تعليم القرآن وحاضره
- 10 - نزهة الطلبة السنوية



بسم الله الرحمن الرحيم  
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

## 1 - المكاتب

هذه اللفظة مفردا مكتب، ويطلق أيضا على هذا المعنى من هذه المادة، نفسه لفظة كتاب ج كُتِّبَ، وهذا المفرد بلفظه يوافق جمع كتاب، ولذلك جانس بينهما من قال  
وَأَتَى بِكُتَّابٍ لَوْ انْبَسَطَتْ لَهُ فِيهِمْ رَدَدْتَهُمْ إِلَى الْكُتَّابِ

والمكتب هو المحل الذي يتعلم فيه المبتدئون بمنزلة المدارس الابتدائية اليوم في الأمم المتقدمة، هكذا كان يطلق، ثم صار يطلق على المحلات التي يتعلم فيها القرآن مع مبادئ الدين، غير أن هذه اللفظة الآن قلما تروج في مغربنا هذا، حيث استبدلت في المدن وما إليها من سكان العرب بلفظة «الاحضار»، كأنه مصدر أحضر والجمع الاحضارات، وفي بوادينا السوسية وما إليها من منازل البربر يطلق على ذلك لفظة «أُخْرِيش»، وجمعه «إِخْرِيش»، والمفرد بفتح الهمزة فخاء فراء مسكتين، فباء بعدها ياء مد، فشين، والجمع بهمزة مكسورة فخاء فراء مسكتين، فباء فألف مد، فشين، و«أُخْرِيش»، هذا هو دائما قسم من الأقسام التي يتركب منها البناءات والبيوت، التي يطلق عليها إسم «المسجد»، وهو المصلى والمتوضأ ومسحن الماء، وهو الذي يطلق عليه «أُخْرِيش»، أصالة وبيت الطالب، وتستدير أمامها ساحة فيها يتكون المكتب، ويطلق عليه أيضا «أُخْرِيش» لأن المسجد إذا كانت القرية كبيرة، فإن هذه

الأقسام التي ذكرناها تكون كلها، ويطلق على الجميع إسم المسجد، ويجمع ذلك كله باب خارجي ويكون للطَّالِب وتلاميذه محل خاص منعزل عن مجلس سكان القرية، وإذا كانت القرية صغيرة، فلا يكون فيها إلا المصلى والمتوضأ وبيت الطَّالِب ومسخن الماء، وسقيفة يقرأ فيها التلاميذ، ويوقدون النار بعد العشاء في مسخن الماء نفسه، والغالب في مساجد أهل الجبال أن تكون ضيقة كديار أهلها، والغالب على مساجد (أزاغار) في أحواز (تنزيت) إلى (هشتوكه) و(راس الوادي) السعة والرحب، لأن ديار أهلها ومساكنهم فيحاء متسعة، وقد ينعكس ما ذكرنا، لأن ذلك يتبع حاله القرى وساكنيها

## 2 - أجرة المعلم

من المعلوم عند المغاربة قاطبة، أن في كل قرية من قرى البادية مسجدا يختص بتلك القرية وحدها، فسكانها يقومون به من جميع النواحي، والشائع الذائع أن المؤاجرة تكون مسانحة لا مشاهرة، وهذا عام في (المغرب) كله، من (وادي نول) إلى (وجدة)، غير أن هذه الأجرة تختلف بحسب القرى وبقدر السكان وبمقدار ثروتهم، وباعتبار ما يملكون وما يستنتجون منه معاشهم، ويجولون في معتركه الحيوى، والمعلم متى أطلقناه فهو بنفسه إمام المسجد ومؤذنه غالبا، ومسخن ماء الوضوء صباحا وقبل الظهر وقبل المغرب، إن لم يتول ذلك التلاميذ أو غيرهم، ثم في بلادنا يؤاجر المعلم بقدر معلوم من الشعير يوفيه سكان القرية، من البيادر بعد درس المحصولات وتصفيتها، وقد علم كل واحد المقدار الذي يلزمه من ذلك، ويحترثون له مع ذلك بجميع بهائم السكان، ويقوم الامام بمؤونة الحارثين ذلك النهار، ثم في فصل الربيع يعطى الزيد من عند كل من له بقرة أو غنم، مقدار ما يستخرج من مخضه واحدة، ومن لا غنم له ولا بقر أو كانت له، ولكنها لا تحلب فليس عليه شيء من الزيد البتة، ثم يعطى

أيضا جزء من الصوف من عند كل من له غنم فقط، ثم في بعض قرانا كقرية (الزاوية) يعطى أيضا نحو صاعين نبويين من الجزر اليبس المدقوق، وفي عيد الأضحى يعطي كل بالغ بالغ قرشا، يستعين به الامام في اشتراء أضحيته، وبعض القرى تشتري له الأضحية بنفسها، فهذه أجرة المعلم الواجبة التي يدخل عليها وتستوفي كلها ولا بد، وأما بعض النوافل التي يقدمها آباء المتعلمين عند قدومهم من بلاد التمر أو مثل ذلك، فإن ذلك لا نتعرض له، لأنه ليس بالفرض اللازم، وأما مؤنته اليومية فإنها بالمناسبة على جميع السكان، كما هي عادة بادية (المغرب) جمعاء، غداء وعشاء في إناء صغير من البخار له غطاؤه منه، ويوضع في طبق صغير مقعر يصنع على مقداره، وتكون لهذا الطبق حمائل ثلاثة، تثلت الجهات الثلاث، وتربط بمجموعة في مقدار دراع، فيحمل به ذلك الاناء، ولا وجبة وسط النهار عندنا في هذه الجبال، نعم كانت عند بعض القبائل (الأزغارية)، وعهدي بأهل (إفريان) يأتون إلى الطَّالِب عند الظهر بخبزتين أو ثلاث رقاق، مع سكرجة فيها زيت أركان، ثم لا أدري أذاك عام دائما، أم إنما يكون في بعض الأزمنة المخصصة، وذكر لي أن في بعض قرى (بعقيلة) و(سملالة) تعطي للطَّالِب وجبة نصف النهار أيضا، ولكن ذلك على كل حال قليل، وعهدي بأهل قريتنا يعتنون بطعام الطَّالِب عناية تامة، فتجد النساء يهيئن إداما أو لحما إن تيسر ليوم نوبة الطَّالِب، ولكن ذهب تلك النيات بذهاب ذلك الجيل

### 3 - نظام تعليم القرآن

يكاد تعليم القرآن في جميع أرجاء (المغرب) يكون على وتيرة واحدة، في جوهره ويسر تعلمه، غير أن في بلادنا هذه في وسط ذلك النظام زيادات على غيرها، أورثها الحرص والاجتهاد اللذين علم بهما السوسيون قاطبة، والجزوليون

خاصة، يستفيق «الطالب»، وهو الاسم الذي يحمله كل إمام إمام في أي مسجد مسجد، عند طلوع الفجر بنحو ساعة ونصف أو ساعتين، وتلك عادة مستمرة عند جميع الطلبة المعلمين، فيوظفون التلاميذ وهم يرددون عندهم في المسجد، بحيث لا يبيت في داره إلا الصبية الصغار، الذين لم يدركوا بعد القيام بأنفسهم، أو لم تكن لهم سُورٌ يحرص عليها المعلم أن لا تنسى، ثم يتوضأ البالغون منهم، فيجلسون لقراءة سورهم فيقرأون من خمسة أحزاب إلى ثمانية فيطلع الفجر، وقد حضرت الجماعة، سكان القرية وتوضأوا، فيقوم الإمام فيصلي بالناس فيقرأ الحزب مع تلاميذه، ثم يقومون وقد أسفر الصباح، فيتناولون ألواحهم فيقرأون منها، وقد كانوا أتقنوا حفظها أمس إتقاناً تاماً، ثم يعرضونها العرضة الأخيرة على الطالب، فيقومون لمحوها، فيبتدئون الكتابة والشمس كما دَرَّ قرنها، ثم إن كانوا يكتبون من عند أنفسهم فإنهم ينتبذون عن الطالب، وإن كانوا يستفتون يستديرون به نصف الدائرة، فيستفتيه كل واحد منهم جملة جملة، فيقول التلميذ، وفي رأس لوحته ﴿يسّ والقرآن الحكيم﴾ يا سيدي ﴿يسّ والقرآن الحكيم﴾ بصوت عال، فيجيبه الطالب ﴿إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ وهكذا، فيقول هذا وذاك وذلك، كل يستفتي من المحل الذي وصله، والطالب بينهم يجيب كل واحد واحد، من غير أن تتداخل إجابة هذا في جواب ذاك، وإن كانوا أكثر من عشرين، فيراهم من لم يعتد هذه الحالة فيقضى عجبا، من حضور ذهن الطالب ومن شدة عارضته، ومنهم مع ذلك من يمر بلوحته لتلميذ آخر، فلا يشغله هذا عن ذاك، ثم من الطلبة من يوزع بعض هؤلاء المستفتين على كبار التلاميذ، فيجلسون حولهم حلقا حلقا، حتى إذا كتب هؤلاء المستفتون، وقد أقبل الغلظة الصغار من بيوتهم، فيشتغل الطالب بتعليمهم حروف الهجاء وبعض السور القصيرة، أو تعليم الخط كل بحسبه، وتعليم الخط عندنا يجري وفق المعتاد في (المغرب) كله، يكتب الطالب على اللوحة بذهب القلم الحروف، فيتبينها التلميذ فيتبعها بقلمه، ثم بعد أن ينشط لذلك، تسطر له الحروف أيضا فوق السطر، ثم

يكتب أشكالها في السطر تحتها، وهو يسامت بها ذلك، هكذا وهو يسير هذا السير الوحيد، حتى يتعلم كيف يخط بعد شهور أو سنة. والبلوى بهذا التعليم العقيم ضاربة أطناها في جميع الشرق قبل اليوم، ولكن الدول الشرقية كلها صارت تنتفض عن هذه الطرق الملتوية إلى الطرق المحدثه، التي هي إلى التعليم كاليد للفم، هكذا يشتغل الطالب حتى يكتب التلاميذ كلهم، وأما الكبار منهم الذين يكتبون من حفظهم، فهم في محلاتهم يكتبون متبذرين، وأما هؤلاء الذين يستفتون فإنما يكتبون بأيديهم سطورا قليلة فيحفظونها أولا، ثم يتم لهم الطالب أسفل اللوحة ما بقي فيها بيده، هذا والقيامه في المكتب قائمة، وأصداء رنات التلاميذ بلغت عنان السماء، والطالب يصرخ صرخات تقطع نياط القلوب، والحبل المفتول يتلوى على ظهور كل من التلاميذ بذنب أو بغير ذنب، ولا يفطر أحد منهم إلا بعد أن يحفظوا كل ما كتبوه، وبعد أن يجتاز الطالب على ألواح الذين يكتبون الأرباع والأنصاف، وبعضهم يذر هذا الاجتياز حتى يفطر، ولكن العادة عندنا على تقديمها إلا لضرورة، ثم يتفرق التلاميذ للافطار من ديارهم، فيأويون مسرعين فيبتدون سورهم، وهم متراصون أمام المعلم، وهو يمر بعينه على الجميع، وأمامه من عنده نوبة قراءة أحزابه، ثم لا يفتلون من مقعدهم ذاك، إلا بعد الحادية عشرة أو نصف النهار، بعدما قرأوا عشرة أحزاب أو خمسة عشر بحسب طول النهار وقصره، ثم يأمرهم الطالب أن يستريحوا، فينجزون في زوايا المكتب فينامون إلى أن يصل وقت الظهر، ويؤذن المؤذن فيقومون، ثم يختلف كل واحد إلى داره، فينتشل ما تيسر عند أهله بسرعة فيأكله، والغالب أن يكون ثمرًا في بلادنا، فيأكله في داره أو يضعه في كيسه، ثم يتوضأ التلاميذ مع جماعة القرية فتصلى الظهر، فيحمل التلاميذ ألواحهم فيقرأون الجهات القديمة التي كتبوها صباح أمس، فيقرأونها وقد مر الأستاذ مع كل واحد منهم على الوجهة التي يقرأها، بعد أن عرض التلميذ ممحوة الصباح، ثم يكررونها إلى العصر، ولا يمكن أن ينزلوها من حجورهم وإن أتقنوها حفظًا إلى العصر، فيعرضونها عن الطالب فتصلى العصر، فيقبلون على

قراءة السور، إلى أن تكون الشمس على طرف النخيل وشغف الجبال، فيأمرهم الطالب أن يرتاضوا سويعة قدر فواق الناقة، فيرجعون ويتناولون ألواحهم، فيقرأون الجهة القديمة التي حفظوها آنفا، عند العصر، إلى أن تصل المغرب فتصلى، فيقرأ الحزب، فيرجعون أيضا لقراءة السور إلى العشاء، فإن صلوا يذهبون إلى ديارهم ليتعشوا، ثم يأوب كبارهم ومن يتلوهم إلى المسجد وتوقد نار في وسط المكتب، فيستديرون بها حلقة فيقرأون تلك الجهة القديمة، ثم يعرضونها عرضا آخر على الطالب، ثم يقرأون أحزاب ألواحهم، ثم يتأق أخيرا لهذه السلسلة الطويلة أن تنتهي، فيمكن هؤلاء التلاميذ الذين كأنهم خلقوا من الفولاذ أن يذوقوا للراحة طعما، فيستلقون على جنوبهم التي يعلم الله كيف كانت بالحبال الأزغب التي تتلوى عليها طول النهار تلوى الأفاعي في مساربها

فهذه سيرة التعليم طول النهار تقصيناها بكل دقة، دروس دينية دائمة تكرر في كل نهار

## - 4 - الراحة

هناك راحتان راحة أسبوعية وراحة سنوية، أما الأولى فتكون عشية الأربعاء والخميس والجمعة، ويذكر أن ذلك سنة عمرية، وعادة معلمينا في ذلك أنهم يسرحون التلاميذ مع صلاة العصر يوم الأربعاء، كما هي عادة المغريين كلهم، غير أنه عندنا يرجع التلاميذ صباح الخميس، فيحملون الألواح فيقرأون الجهة القديمة التي حفظوها عند عصر الأربعاء، ثم يعرضونها عرضا آخر على الطالب، ثم يقرأون أحزاب ألواحهم، وربما يقرأون معها أحزابا أخرى، ثم يسرحون حيث لا يرجعون إلا في أصيل الجمعة، إلا من كان يعرف حزب عشية الخميس وصباح الجمعة فلا بد أن يحضره، وعند الأصيل يجتمعون، فأول ما يعملون إصلاح «الدوي» ووضع «ليقة» جديدة إن احتاجت إليها، وإذابة



«الصمغ» فيها، و«الصمغ» معلوم يصنع من الصوف المحروق في إناء، ثم إصلاح الأقلام ونجر المساطر التي تصنع عندنا غالبا من جريد النخيل، أو من القصب، وربما صنعت من النحاس الأصفر، وذلك قليل جدا، ومن لم تكن له مسطرة يكتفي بأن يسطر بطرف لوحة مستقيمة، إن صادف أستاذًا يغضي، وإلا فلا بد منها وإن كان ما كان، ثم يحملون الألواح فيقرأون القديمة التي يغسلونها صباح الغد، فهكذا دواليك في كل أسبوع

وأما الراحة السنوية فهي «العواشر» المعهودة المعلومة في كل أنحاء (المغرب) حولي الأعياد الثلاثة الفطر والأضحى والميلاد، ومقدارها أسبوعان أسبوع قبل العيد وأسبوع بعده، ثم ترجع القراءة كما ذكرنا، ثم إن الطالب في القرى التي فيها التعليم، لا يمكن له أن يذهب إلى داره إن لم يكن من أهل القرية، إلا في عشية الأربعاء إلى عشية الجمعة، فإن هذا الزمن له، وإلا في العواشر من أولها إلى آخرها، وإن كان الغالب أن الطلبة يمكثون يوميات في أول العواشر، لتتبع سور التلاميذ، حيث يأتون في كل صباح صباح إلى المكتب ليكرروا سورهم، حتى إذا أطل العيد وبقي له يوم أو يومان يروح الطالب إلى أهله، حتى يسبع العيد، لكن إذا لم يكن في القرية من يصلي فيها العيد، ولم يكن بين سكانها من هو أهل لذلك لعلمه ولدينه، فلا يذهبن الطالب إلا بعد أن يصلي العيد بأهل القرية.

فهتان راحتان هما المعلومتان المشهورتان، وهناك بعض راحات صغار غير منتظمة، لا نخرج عليها الآن، كالتي تقع إذا اختتم تلميذ القرآن أو نصفه، فإن هذه سيأتي ذكرها، نعم هناك راحة أخرى عند تمام ختمة الحزب الراتب من وقت اختتام الحزب إلى العشاء، ثم يرجعون إلى ديدنهم، غير أن هذه كلاً راحة، لأن التلاميذ لا يكتسبون فيها حريتهم، بل يبقون في المكتب تحت أنظار الطالب، وإنما كل ما هنالك أنهم يسكتون عن القراءة فقط، وهذه في عرف التلاميذ لا تعد راحة، وعرف كل قوم هو الذي يتبع، ما دام المقال حولهم، والعادة محكمة، كما قال القاضي الحسين

## 5 - عادات تتخلل ذلك

حقيقة هناك عادات كثيرة، تتعلق بما مضى مما يأتي به التلاميذ إلى الطلبة، في يوم الأربعاءات وفي العواشر، وكيف يدور التلاميذ في أبواب دور القرية عند إعلان العواشر، وكيف تكون ختمات التلاميذ يوم يختم أحدهم القرآن أو أحزابا معلومة، أما في الأربعاءات فالعادة التي كنا نعرفها، وعليها درجت طبقة من قبلنا، ولا تزال إلى الآن هي السائدة في المكاتب، أن كل تلميذ يأتي بيضة بيضة إن كانت متيسرة، وإلا فإنه يأتي بما تيسر من الثمر حفنة أو حفتين، ولا يتخلف أي تلميذ عن ذلك، وقد يأتي تلميذ بدل البيضة بفلوس أو قرش على سبيل الندور، وأما في العواشر فإن المعهود أن يؤتى بالدارهم، إما قرش أو قرشان أو ثلاثة أو أربعة

ومنتهاه أربع إن جردًا وإن يُردَ فما سِتًّا عدا

وجميع التلاميذ يقومون بذلك، وهو واجب وجوبا ينفذه الصبيان باستلقائهم في حجور أمهاتهم، وبين يدي آبائهم، ثم لا يغادرونها إلا وهي في أيديهم، وغالب الوالدين يعطون ذلك عن طيب نفس لمرجاة الخير والسداد في مستقبل أبنائهم، ثم إن أعلن الطالب العواشر، يعمد إلى لوحة فيزخرها للتلاميذ بأصباغ مخلوطة ببعض نباتات لها لُزوجة يمزجونها ببياض ومخ بيضة، وربما يكتبون فيها أبياتا من «البردة» بين نقوشها، وتحت الشرفات التي يرسمونها فيها بين مبيض ومصفر ومخضر ومحمر، على حسب ما تيسر من الألوان، ثم تلوى هذه اللوحة في برقع من الأعطية التي توضع على رؤوس النساء ويسمى (أعبروق) وهو أحمر، ولكن تقطعه طولا وعرضا خطوط من ألوان أخرى، ثم تجعل اللوحة في رأس قصبة طويلة، وقد شق رأسها حتى تدخل فيه، فيربط ما فوق بخيط، فيحمل القصبة أحد كبار التلاميذ، كأنها راية فيلق ثم يقفون أمام كل دار دار، فيقولون وما يقفون بنغمة واحدة يجهرن بهذا النشيد البسيط :

﴿بِيضَةً بِيضَةً لِلَّهِ، يَأْتِكُمْ لَآئِلٌ تَسْنُوثٌ،  
مَا سَنُكَلَّا لِلْوَاخِ،.....(1)﴾  
نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴿

هذه الأنشودة هي التي يغردونها بأصواتهم الرخيمة، فيكررونها حتى يمنحهم أهل الله ما تيسر، إما شعيرا وإما ثمرا، ثم يدورون على ديار القرية كلها، وكثيرا ما يتطلب أفراد من السكان أن يحلوا تبركا بتلك اللوحة المربوطة، فلا يذرهم التلاميذ حتى يعطوهم شيئا في مقابلة ذلك، ثم إن هذا الذي يجمع من ذلك كله، تقام به حفلة في المسجد، فتتصب قدور تغور باللحوم، وعلى كل تلميذ أن يأتي بخبزة من عند أهله، فيستدعى الطالب للحضور، وحفلة القرآن كلهم من القرية فقط، فهكذا تعلن العواشر، فما أتى به التلاميذ من عند آبائهم من الدراهم عند إعلانها يختص به الطالب، وما جمع من الديار مطلقا فإنه لحفلة التلاميذ

(1) لم يتم المؤلف رحمه الله هذا النشيد، لأنه ربما لم يجد النشيد المناسب حيث أنه يختلف باختلاف المناطق السوسية، بل ونجد مثيلا له حتى في العامية المغربية، وقد عملت جاهدا لاستخلاص نشيد مناسب يكون قاسما مشتركا في مناطقنا السوسية.

بِيضَةً	بِيضَةً	لِلَّهِ
مَا سَنُكَلَّا	لِلْوَاخِ	لِلْوَاخِ
لِلْوَاخِ	الطَّالِبِ	الطَّالِبِ
جَنَسِي	مَخْلُوعَةٍ	مَخْلُوعَةٍ
مَوْلَانَا	مَوْلَانَا	مَوْلَانَا
زَجَانَا	خَالَتِي	خَالَتِي
مَحْمَدٌ	وَصَحَابُهُ	وَصَحَابُهُ
إِبْرَاهِيمُ	إِبْرَاهِيمُ	إِبْرَاهِيمُ
يَا فَتَحَا	يَا رَزَقَا	يَا رَزَقَا
نَصْرٌ	مِنْ	اللَّهِ
وَفَتْحٌ		

(الناشر)

وأما ختمات القرآن فمنها الصغرى والكبرى، فأما الصغرى، فإن كان التلميذ مبتدئاً يسير سيرا بطيئاً في قراءته، فإنه عند كل ختم ربع أو حزب، يأتي إلى الطالب بلقمة كبيرة من البسيس أو الثمر، حتى إذا تجاوز الحزبين أو الثلاثة الأول، ينقطع ذلك إلى أن يصل حزب ﴿الرحمن﴾، فيصنع أهله جفنة من الطعام، وكثيراً ما يكون عصيدة في وسطها سمن، وربما يكون كسكسو عليه لحم، فيأكله التلاميذ في المسجد، ولكن الغالب أن الراحة لا تكون للتلاميذ هنا، ثم يقع مثل ذلك عند حزب ﴿قل من يرزقكم﴾، وعند حزب ﴿قال ألم أقل﴾ نصف القرآن، وأما الختمة الكبرى وهي التي تقام عند اختتام القرآن، ففي ذلك اليوم يصنع أهله جفنة من العصيدة بسمنها أيضاً وترسل إلى التلاميذ في المسجد، ثم إذا تهيأ أهل التلميذ، فإنهم يذبحون ويوجدون طعاماً كثيراً ويوقدون الفرن، وذلك علامة على صنع خبز، فتملأ القدور مرقاً، والكسكسو يبرم ويرك في الأواني الكبيرة حوالي الاثنا عشر، ثم يستدعى التلاميذ يقدمهم الطالب، ومعهم كل حفظة القرآن من القرية، فيفتتحون القرآن في أجزائه، فيقرأ كل واحد جزءاً، ثم إذا اختتموا يدعون، فتمد لهم الأطعمة، المرق والخبز أولاً، ثم قصاع الكسكسو المسنمة باللحوم والشيزى ثانياً، وماء المرق يدار عليهم في الأواني، ومغرف كبير يملأ لهذا وذاك، فهكذا يحتفل رب الدار، وقد كانت لوحة التلميذ مزخرفة على العادة المعروفة في جميع (المغرب)، حضره وبدوه، فيذهب بها إلى أهله، فتأتي النساء فيتبركن منها ويعطين دراهم للتلميذ وكذلك الرجال، ويكون ذلك للطالب، كما هي عادة أهل الحضر أيضاً، والفرق بين ما هنا وما هناك في ذلك ضئيل، ثم بعد خروج التلاميذ وحفظة القرآن من الدار، يستدعى كبار أهل القرية أو جميع من فيها فيطعمون، ثم ترسل قصعة أو أكثر بحسب الطاقة إلى المسجد عشية، ثم تنقضي الحفلة، والتلاميذ في ذلك اليوم في الراحة يقفزون ويقمصون

ثم إن حرف «ورش» هو الذي يعتنى به في بلادنا كثيراً، وربما يتصدى

بعضهم لحرف «البصري» أو «المكي» أو «قالون» أو «حمزة»، ولكن ذلك قليل، والمدارس التي عقلناها تعتني بهذه القراءات هي مدرسة (سيدي همُو أولحسن) في (الأخصاص)، ومدرسة (الفهم) في (تازروالت)، ومدارس (هشتوكه) و(جسيمة)، وهذه يعتني بعض أساتذتها بكل القراءات السبع، كالأستاذ عبد الله الرجراجي رحمه الله في (المزار)، وقد كان الذي رفع لواء هذه القراءات في أواسط القرن الماضي الحاج محمد أعجلي في مدرسة (إكُضي)، ولكن الجزوليين لاعتنائهم بالعلوم، قلما يميلون بعد تحصيل متن القرآن إلا إليها

## 6 - تأديب المعلم

بقي أن نذكر كيف يؤدب المعلمون تلاميذهم في هذه البلاد، فنذكر أولا «الفلقة» المعلومة في المدن وما إليها، والموجودة أيضا في (مصر) وما إليها، قبل هذا الانقلاب الأخير، لم تكن معلومة في بلادنا نحن، وإنما الموجود عندنا الحبال والعصي واللطمات واللكمات والركلات والقرصات وتعليق في «الزرقاء»، وإليك البيان إذا جلس التلميذ إلى الطالب ليعرض لوحته ثم تملل فيها، فلا يجيبه إلا بلطمة أو ركلة تلقيه من فوق دكة، كثيرا ما تتخذ في كل مكتب يجلس عليها الطالب ليطلع على كل التلاميذ، أو يتناول منها اللوحة فيضربه بها، والتلميذ مترحزح عنه، مبتعد منه خوفا وفرقا، وإذا كان الطالب يجوز على وجهة لوحة كان كتبها التلميذ من ذوي الأرباع أو الأنصاف، فإن هذا يستوفز عن يمين الطالب فيما يقابله، فيمد يده اليمنى فيمسك بها الحرف الأعلى الذي يليه من لوحته التي في حجر الطالب، واليسرى يمسك بها الدواة للطالب وهو يعيد محوته، ثم إذا ختمها سكت، والطالب يمر عينيه على السطور، وقلم غليظ بين أنامله يصلح به كل ما فسد، ثم إذا كان التلميذ شاديا قد تقدمت له معلومات رسمية، فإن الطالب يناقشه إذ ذاك في كل ما

أفسده، ويجر بعض الكلمات المفسدة إما إلى فوق وإما إلى تحت، فيصلحها فيه بخط غليظ جدا بحسب الخطأ، وربما يتناول «الصمغ» بسبابه، فيكتب بها الكلمة المفسدة، وكل ذلك ليستحضر التلميذ خطأه فلا يقع فيه وقتا آخر، ثم إن الطالب يميل فينة بعد فينة على التلميذ المستوفز في ميمته، فيلطمه أو يقرصه وذنب قلمه بين أصبعيه، وربما يقطع به، والمقرص الرسمي يكون دائما تحت الذقون، ولذلك قلما تجد تلميذا إلا أثر له في عنقه، بل ربما يؤثر ذلك في بعضهم حتى ترم رقبته، فلا يستطيع أن يأكل، والوالدان يقولون في كل ذلك متى رأوه، رضي الله عن الطالب فما أكثر اجتهاده، وجازاه الله عن أولادنا خيرا، وقلما تجد من يمتعض لولده إن رأى منه مثل ذلك، إلا بعض عقلاء فإنهم يأمرهم بالرأفة والشفقة، ويقولون استدلالا لما يذهبون إليه، ﴿الرحمن علم القرآن﴾ يريدون أن تعلمه وهب من الرحمن، فلا ينبغي أن يعامل متعلموه بهذه الأتعاب والمشقات، هذا واللطم والركل واللکم يأتي بسبب أو بلا سبب، ثم هذا الذي ذكرناه كله ليس بالتأديب الرسمي الذي يتوعد به التلاميذ، وتتعد فرائضهم منه وإنما التأديب الحقيقي أن ينبطح التلميذ بين أربعة كبار ثم لا يصل الأرض بطنه، بل يبقى معلقا بين هؤلاء الأربعة، فينبعث الطالب وقد ألقى عليه رداءه، وتجرد ولم يبق عليه إلا قميص خفيف، وفي يده حبل عبل متين، إما من المسد، وإما من الحلفاء، وربما يكون مفتولا من الشعر ومن الحلفاء معا، ليكون أمتن وأشد تأثيرا، وربما يكون قبل ذلك منقوعا في إناء ماء، ثم يعمد الطالب بكل ما في طوقه، من الجلد والقوة والمنة، فيشدي جنوب التلميذ الممدود، فلا تكفي أربعون ولا سبعون، والاستغاثات بلغت عنان السماء والاسترحامات التي تلين الجلاميد ويرق بها الفولاذ، لم تجد رحمة ولا شفقة ولا رقة في فؤاد الطالب الحنق المحتدم، كأنما مسه طائف من الجنة، ثم ربما يصادف هذا الحال بعض سكان القرية المحترمون في نظر الطالب، جالسا في مدخل المسجد، فتسري إليه الشفقة التي تحطت قلب الطالب، فيلج عليه ويرغب منه في المساحة بكل أدب وملاطفة، وإلا فمن يقدر أن يحول بين

الطالب وبين رعيته التي يستبد بها استبدادا ؟ ثم يلقي هذا المسكين وقد يبلغ به الضرب إلى أن لا يقدر أن يستوي جالسا، ولكنه من خوف العفريت الذي لا يزال يهدده من فوق دكته، يتناول لوحته فينكمش بين التلاميذ، ثم لا يمضي يوم أو بعض يوم حتى ينسى ذلك. ويقع مثل ذلك لآخرين، والمصيبة إذا عمت هانت، ثم إذا كان ذنب التلميذ أعظم، وكان قلب الطالب أقسى، فإنه يعلقه بعد ذلك في «الزركاء» وما أدراك ما «الزركاء»، وهي حبل ربط جانباه في خشبة في سقف المكتب فوق الموقد التي توقد فيه النار بعد العشاء ليكرر عليها التلاميذ ألواحهم، وكيفية تعليقه أنه يحمل ويلزم رغم أنفه أن يشبك بأصابعه وسط طرفي الحبل المعلق، ثم يطلقه من رفعه إليها، فتلتقي أشاجع أنامله، وهي ناتئة فوق الحبل، فيثقله جسمه، فيبقى معلقا بين السماء والأرض، ثم هناك من الطلبة من يكتفي بذلك حيث يتركه خمس دقائق أو عشر أو ربع ساعة، بمقدار رقة الطالب وقساوته، ومنهم من يضرب أرجل التلميذ وجنوبه وظهره وهو على تلك الحالة، حتى يشتفى من المسكين، ومنهم من يتجاوز ذلك، فيوقد نارا ويلقي فيها ملحا يفرقع تحته، فيكاد البائس المعلق يموت مما يجد من هذا العذاب الأليم، ثم لا يمكن لأنامله أن تنحل من ذلك، ما لم يرفعه رافع أيضا، حتى تعلق أصابعه فيفصل بينها، ثم يسقط على الأرض وقد أطلقه الرافع وهو الطالب غالبا، هذه هي «الزركاء»، وهي أدهى من «الفَلَقَة» وأمر، ولكل قساة عادة متبعة، ولا يثبك مثل خبير

هذا هو التأديب العنيف الذي يرتكبه الطلبة المعلمون، ويرتضيه الآباء ويغضى عنه الرأي العام، وهو الذي يحمل بعض التلاميذ على الانتحار، إما بترد في بحر وإما بتناول سم، أو على الهروب عن أهلهم إلى حيث يجدون لأنفسهم أمانا، وقلما تجد من لم يهرب من بلد إلى بلد من كل من قرأ القرآن، ولا يحملهم على ذلك إلا هذه المعاملات القاسية، وقليل جدا أن يكون الحامل النفور عن القراءة والتعلم، ثم هذا الهروب يورث محنة أخرى وهي الكبل، فترى

واحداً أو اثنين في كل مسجد، قد كبلهم أهلهم ليرغمهم على ملازمة القراءة، وقد كنت أنا واحداً من هؤلاء، فقد فررت من أستاذنا سيدي ابراهيم ابن الحاج، وهو يعلمنا في مسجد (إفريان) من (هشتوكه) يوماً عند الزوال إلى قبيلة (جسيمة)، فقطعت نحو أربعين كيلو في سيف البحر، من وسط النهار إلى الغروب، وأنا إذ ذاك ابن تسع سنين، فظللت أجري وأنا ألتفت ورأيي لثلاً يتبعني ويقتفي الأستاذ أثري، فوصلت مصب «وادي سوس»، وما كنت أحجو أنه هناك، لأن قصدي أن أساير البحر إلى (أكادير)، ثم أخرج إلى دار سيدي محمد بن عبد الرحمن الجسيمي، التي كنت فيها قبل ولقيت فيها ما تقترحه أماني الصغيرة ومشتيائي المعسولة، ولكن حيث عارضني النهر وطلعت معه حتى صادفت مخاضة فيها عبداً يقطع إبلأ أراحها في المرعى، والشمس غاربة أو كادت، فجاز بي المخاضة وسألني من أين أنا، فلفقت أكذوبة في الحين فقلت له إنني من (أكادير) وقد هربت من أهلي، لأنني ذهبت لأفرغ من السقاء لبناً، فأقلت مني فانصب كل ما فيه، ففررت منهم خوفاً أن ينالوا مني بضرب، ثم ذهب بي إلى إمام المسجد، فإذا بي قد عرفني هو أو بعض من هناك من أصحاب الوالد، فغدوا بي إلى دار سيدي محمد بن عبد الرحمن، حيث بقيت سادراً في غلواء أيتاماً، وبينما أنا في دار الفقيه علي بن محمد الحبيب السباعي، وأنا أقفز كالغزال المقمر، طرق طارق باب الدار فابتدرت قبل أهل الدار لأنظر من الطارق، فلما فتحت الباب أو أطلت من خصاصه إذا بأستاذي ابراهيم ابن الحاج بعينه، فقمصت ورأيي وصوتي متخرج، ونفسي المتتابع قد أخذ بأعظامي، وروحي قد بلغت التراقي، فاصطدمت في نكوصي وابن الفقيه فقلت له الطَّالِب الطَّالِب الطَّالِب، وا رياه ماذا أصنع فقال لي لا تخف فتعال معي إلى هذا البيت لتختبئ فيه حتى يذهب، فنبعته وأنا أخال أنني في طريق النجاة، ولم أدر أن هذا البيت هو القفص الذي يحزني حتى يتوصل بي الطالب، وبعد لأي كأن أهل الدار يقرون فيه الطالب بما تيسر، فتح أمامي البيت فوجدتني بين يدي السبع الضاري كما أتخيله إذ ذاك،



فرجع بي إلى المسجد، فكان ذلك سببا لجولاني في صهوة الأدهم بعد حين، ولكن الطالب أراد أن يغرب ويظهر اهتمامه العجيب بأولاد شيخه، فجمعني وأخي أحمد في كبل واحد، بعدما كان كل واحد منا في كبل على حدة، فوضع رجلي في ناحية ورجله في ناحية، ثم غادرنا ليصل أهله فقال إذا أردتما الآن أن تمكثا فامكثا معا، وإن أردتما أن تفرا ففرا معا

هذه تأديبات العصر الماضي، إذ الناس في تعليم القرآن وتعلمه في حرص شديد وشوق زائد، وكثيرا ما يتمنى إنسان منهم أن يرى من أولاده الذين خرجوا من صلبه، من يستظهر القرآن الكريم، ثم إذا عاينه فإنه يجعله سيد إخوته، ويتصدق عليه بشيء من ماله يوم الحداقة، فرحم الله أهل ذلك العصر، وجعل الله أصحاب تلك الهمم في أعلى عليين، فإنه لم يبق من ذلك اليوم إلا أحاديث تدور، ثم سيأتي زمان تنقضي فيه أيضا هذه الأحاديث، والمغرب اليوم في مفتتح عصر جديد، والله وحده هو الذي يدري كيف تكون فيه الأحوال، والله الأمر من قبل ومن بعد

## - 7 - الحزب الراتب

أول من رتب الحزب الراتب وأعلنه رسميا في (المغرب) الموحدون، كما أظن أنني قرأت في «المعجب»، ثم تمشى ذلك في القرون الماضية كلها إلى الآن، ثم من الناس من عادتهم أن يفتتحوا القرآن مع افتتاح الشهر، ويختتمونه مع اختتامه إذا كان الشهر تاما وإن كان ناقصا تركوا ما بقي، فافتتحوه أيضا من أوله، فتجد من يعتادون قراءة الحزب على هذا النظام، يتخذون ذلك حسابا منظما لأيام الشهر، فما يحتاجون بعد إلى (رُزمانة) جديدة، والمدن في (المغرب) وكثير من البوادي بها على هذا، ومن الناس من يلتزم عادة تنسب للشيخ ابن ناصر، حيث يلتزمون قراءة ﴿سورة الكهف﴾ عشية كل خميس، و﴿سورة يسّ وتبارك﴾ صباح كل جمعة، فيختل نظام الشهر ولا يعتبر، فتوافق

ختمه القرآن دائما يوما من أيام الآحاد، وأهل بلادنا على هذه العادة الأخيرة، لما كان بينهم وبين الناصريين من وشائج وأرحام دينية وتصوفية، منذ نحو 300 سنة

ثم ان الذي يفتتح الحزب إمام المسجد أو كبير القراء إن حضر، بعد أن يستعيد وييسمل، إن كان رأس الحزب أول سورة، وإلا فيقتصر على الاستعاذة، ويختتم بأشياء أخرى اختصت بها هذه البلاد، حيث يقال أن وراءه آذان الله وملائكته يصلون على النبي ﷺ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك ﷻ، ثم يقول بعضهم بعد هذا ويزيد ﷻ ومتتهى رحمتك ومبلغ علمك وآياتك، ورضي الله تعالى عن ساداتنا أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين وتابعي التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم اجعلنا يا مولانا من التابعين المحبين لهم بإحسان إلى يوم الدين ﷻ، وبعضهم كما يصنع الالقيون لا يقول ذلك، بل بمجرد ما يقول ﷻ ومداد كلماتك ﷻ يقول ﷻ اللهم ارحمنا وارحم والدينا وارحم موتانا واصلح أحياءنا، وارحم من علمنا وارحم بفضلك جميع المسلمين والمسلمات يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، اللهم يا رب بجاه نبيك المصطفى ورسولك المرتضى طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك، وأمتنا على السنة والجماعة والشوق إلى لقائك يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اجعلنا من شهداء الحق، قائمين بالقسط، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين ﷻ، ثم إذا كان الصباح فإنهم يزدون على هذا ﷻ سبحانك اللهم ومحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ﷻ، ثم يكرر ﷻ سبحانك اللهم ﷻ إلى هنا مرة أخرى، ثم يقال ﷻ اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما

استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي،  
فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يا رب العالمين ﴿١﴾، ثم يقال هذان  
البيتان

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي      فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم  
من يعتصم بك يا خير الورى شرفا      فالله حافظه من كل منتقم

وذكر هذين البيتين حديث العهد وليس بقديم، ولذلك لم تعم تلاوتهما  
بعد الحزب في جميع الجبال هذه، وإنما شاع ذلك في (إلغ) و(ايفران) وما إليهما  
وبعض الالغين كأبي القاسم التجرموني يقول في محل هذين البيتين، هذه  
الآيات الأخرى

إليك رسول الله أشكو نوائبا      من الدهر لا يقوى لها المتحمل  
وإني لأرجو أنها بك تنجلي      لأنك ملجأ وحصن ومعقل  
عليك صلاة الله ما ذر شارق      وتسليم يا من عليه المعول  
وآلك والصحب الكرام وكل من      لشرعتك المثل يدين ويعمل

وإذا كان الحزب حزب السماء، فإنهم إذا وصلوا مما تقدم ﴿٢﴾ وسلام  
على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴿٣﴾ يقرأون «البدة» للبوصيري، وقد  
قسموها على الأسبوع، فيبدأونها يوم الجمعة، ويختمونها يوم الخميس، فأقسامها  
السبعة مبادئها هي هذه

- 1 — أمن تذكر جيران بذني سلم
- 2 — أستغفر الله من قول بلا عمل
- 3 — وكيف يدرك في الدنيا حقيقته
- 4 — جاءت لدعوته الأشجار ساجدة

5 — قل للمحاول شأواً في مدائحه

6 — وبت ترقى إلى أن نلت منزلة

7 — ومن تكن برسول الله نصرته

فبهذا تم القصيدة عشى الخميس دائماً، ويقدمون على كل ما يقرأون  
متن «البردة» في كل عشية عشية

يا رب صل وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم  
وآله وعلى أصحابه السعداء أولي الهدى والتقى والمجد والكرم

يكررونها ثلاث مرات، ثم يفتتحون ما يقرأ ذلك النهار وهكذا،  
ويفتتحونها أيضاً يوم الجمعة ببيت غريب عن «البردة» قبل بيت أمن تذكر،  
وهو هذا

الحمد لله منشاء الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القدم

يقولونه مرة، ثم يذهبون قدماً، ثم كلما قرأوا هذا كل عشية يقولون هذه  
الآيات

يا رب صل وسلم دائماً أبداً على محمدنا والصحب والرسل  
عَدَّ الحوادث أضعافاً مضاعفة وكان النجوم وَعَدَّ النَّبْتَ والرمل  
ما حركت عذبات القلب ريح صبا من حبه فشفت ما فيه من عِلَل

هكذا يعتنى بـ «البردة» في جميع قطر (سوس) إلى (حاحة) إلى  
(درعة)، تقرأ هكذا كل عشية بعد الحزب الراتب، ولعل ذلك من تأثير  
السادات الناصريين

ثم للمدرسة الالغية ولمن تخرج منها، عادة جارية أيضاً في تجزئة  
«الهمزية» للبوصيري ستة أقسام فقط، فيقرأونها بعد حزب الصباح، وأقسامها

- 1 — كيف ترقى رفيك الأنبياء
- 2 — ونحا المصطفى المدينة واشتافت إلخ...
- 3 — ودعا للأنام إذ دهمتهم
- 4 — خبرونا أهل الكتابين إلخ...
- 5 — وعدتني إن دياره العام وجناء إلخ...
- 6 — آل بيت النبي طبتهم فطاب إلخ...

فهكذا في الأيام الستة من السبت إلى الخميس، يفتتحونها من ذاك ويختتمونها في هذا، وأما يوم الجمعة فإنهم يشتغلون توا بعدما ذكرناه آنفا بالصلاة على النبي ﷺ حتى تطلع الشمس، وقراءة «الهمزية» غير شائعة إلا في من ذكرنا فقط ولهم خاصة بعدما يختتمون «البردة» كل عشية، عادة أخرى من تلاوة قصيدة رجزية عذبة الأسلوب حلوة الدعوات، خصوصا في أولها ووسطها، ولما لم تكن مشهورة ولا معلومة اشتهار «البردة» فإننا سنسوقها لك كلها مع ما فيها من بعض طول، والذي عض عليها بالنواجذ أتباع طريقة مولاي أحمد رضي الله عنه، التي كان أستاذ المدرسة الالغية محمد بن عبد الله وأخوه علي بن عبد الله من رؤسائها الذين يرفعون أليتها، وهذه هي القصيدة

بمحمد ربي أبتدي دعائي	ومهرني إليه والتجاني
حمدا له به عليه منه	ولا يفيض الخير إلا عنه
وبالصلاة والسلام أبدا	على الذي بعث للناس هدى
محمد المصطفى من خلقه	والمتجنى له من أهل قربه
وآل والصحب الكرام ما دعا	داع بقلب ذا اضطرار وسعى
يا رب نسألك باسم ذاتك	وبالذي حواه من صفاتك
بالأعظم الأفخم من أسمائك	وسره المكنون في عيائك

وبالذي جرت به الأفلاك  
وباسمك العظيم من قد قامت  
أدعوك يا حي وبيا قيوم  
ويكتبك العزيز المحكم  
وبالذي سميت به محمدا  
وبالذي دعا بكل مشهد  
وبالذي دعتك رسلك وما  
وبعظيم الجاه خير الناس  
بك استغثنا وبك التوسل  
أنت المشفع الشفيع الأعظم  
يا عروتي الوثقى وبيا ملاذي  
يا من إليه المشتكى والمفزع  
العجل العجل بالاغاثة  
بك توسلنا إلى رب الورى  
أنت الذي قلت وقولك الكريم  
وبخليفتك قطب الأوليا  
إمامنا غوث الورى التجاني  
يا أحمد التجاني يا نور القلوب  
أما ترى الضيم الذي أصابا  
بك توسلنا إلى النبي  
فأنت نجلىه وبحر سره  
ألسنت قد أعطيت ما لم يعطى  
فنحمد الله على نعمائه  
أنت المشفع في أهل العصر  
عار عليك يا ممد الخلق

وخضعت لقدره الأملاك  
به العوالم وفيه هامت  
أقض حوائجي وما أروم  
وسره ونوره في العالم  
من المحامد فصار أحدا  
به من الأسماء والتهجد  
دعت به الأملاك في كل سما  
محمد وصحبه الأكياس  
يا ملجأ الخلق وبيا مفضل  
أنت الوسيلة الكريم الأكرم  
لدى الشدائد وبيا عيادي  
عند المكارم وما يروع  
يا من له كل العلا ورائة  
يفرج الكرب الذي بنا جرى  
توسلوا بجاهي إنه عظيم  
وغوثهم طرا حزب الأصفيا  
من اذعنت له أولوا العرفان  
أما ترى ما نحن فيه من كرب  
وأنت غوث لم تزل مجابا  
وبكما لربنا العلي  
ممدنا من نوره وبحره  
غير الصحابة فأنت المعطى  
إذ خصنا بخير أوليائه  
من كل هول يختشى في الحشر  
من بحر أحمد حبيب الحق

أو يعتري المكروه أهل ودم  
 قد قلدوا سيوفهم وجردوا  
 وهدموا أركانه وسمكه  
 فحلمكم يسع سوء جرمنا  
 قنا الردى وأعف عن الخسران  
 ونجنا من كل من قد اعتدى  
 واصفح عن الزلات يا حلیم  
 في الدين والدنيا ومن كل محن  
 ألطف بنا في القدر المحتم  
 وبالثبات في مقام الدين  
 ولا تحرف ولا تبـدـل  
 صلى عليه الله دون عدد  
 ثم الصلاة والسلام الباهي  
 محمد محرم الملامي  
 غوث الزمان أحمد التجاني  
 من أول الدهر إلى التلاقي  
 خليفة الرحمن في كل وطن  
 شيخ الهدى ذي الخلق المرضي  
 سيدنا ملجأنا قدوتنا  
 يوم القيامة من العذاب  
 من الرجيم واهدنا وأهد بنا  
 ثم التماسينني عظيم الشأن  
 أركى صلاة دون ما انتهاء

أن يلحق الضيم من انتمى لكم  
 عليك بالأعداء قد تمردوا  
 وصيروا الدين القويم ضحكه  
 إن لم نكن أهلاً لأجل ظلمنا  
 يا ربنا بأحمد التجاني  
 وانصر عصاة الهدى على العدا  
 واعف عن الذنوب يا كريم  
 ونجنا في الدهر من كل فتن  
 يا ربنا بغوثك المعظم  
 أيدنا بالصبر وباليقين  
 دون تغير ولا تزلزل  
 بجاه أفضل الورى محمد  
 قد انتهى الذكر بحمد الله  
 على الرسول المصطفى الأواه  
 ثم على وارثه الرباني  
 أفضل الأولياء بالاطلاق  
 ثم على وارثه أبي الحسن  
 غوث الزمان سيدي العلي  
 سندنا ملاذنا عمدتنا  
 يا رب نج جملة الأجياب  
 وانشر علينا من رضاك واحنا  
 بجاه خير الخلق والتجاني  
 ثم على ممد الأولياء

ومن الناس أيضا من يقرأ بعد «البردة» في كل عشية «حزب البحر»  
 للامام الشاذلي، وهو معلوم مشروح، غير أنه معلوم عند قليل من شبابنا، وأما

الغالب فلا بد أن يسأل عنه بعض الكبار، (1) وقد كنت وأنا صغير في سنة 1327 هـ مجاوراً في قرية (العركوب) في (إغير ملولن) لقراءة القرآن، عند الأستاذ عيسى الأثاري دائماً نقرأ «حزب البحر» بعد «البردة» ولكن ذلك

(1) لذا كان لابد لنا من دمج «حزب البحر» هذا حتى تتم به الفائدة فكما هو معلوم أنه لأبي الحسن الشاذلي رحمه الله ورضي عنه

(الناشر)

وفي ذلك يقول «بسم الله الرحمن الرحيم، يا الله يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم أنت ربي وعلمك حسبي، فعمم الرب ربي ونعم الحسب حسبي، تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم، نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكلمات والإزادات والخطرات، من الظنون والشكوك والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب، فقد آتيت المومنون وزلزلوا زلزلاً شديداً، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً، فبينا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى، وسخرت النار لإبراهيم، وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان، وسخر كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والمملوك، وبحر الدنيا وبحر الآخرة، وسخر لنا كل شيء يا من يده مملوكات كل شيء كهيئة صم» (3 مرات)، انصرنا فإنك خير الناصرين، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين، واغفر لنا فإنك خير الغافرين وارحنا فإنك خير الراحمين، وارزقنا فإنك خير الرازقين، واهدنا ونجنا من القوم الظالمين، وهب لنا ربنا طيبة كما هي في علمك، وانشرها علينا من خزائن رحمتك، واحملنا بها حمل الكرمات مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير، اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة في قلوبنا وأبداننا مع السلامة والعافية في ديننا ودنيانا، وكن لنا صاحباً في سفرنا وخليفة في أهلنا وأطمس على وجوه أعدائنا وأمسخهم على مكانتهم، فلا يستطيعون المضى ولا انجسوا إلينا، ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنت يصرون، ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون، يس والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم، تنزيل العزيز الرحيم، لتذر قوما ما أنذر أبائهم فهم غافلون، لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون، إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون، وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون، شامت الوجوه «ثلاثاً» وعنت الوجوه للحمي القيوم، وقد خاب من حمل ظلمه، طس حتم عتق مخرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، حتم «7 مرات» جم الأمر وجاء النصر فعلياً لا ينصرون، حتم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، بسم الله ياينا، تبارك حيطانا، تسر سقنا، كتهتق كفاتنا، حتم عتق حمايتنا، فيكفيكمهم الله وهو السميع العليم «ثلاثاً» ستر العرش مسبول علينا وعين الله ناظرة إلينا بحول الله لا يقدر علينا، والله من ورائهم محيط، بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ، فالله خير حفظاً، وهو أرحم الراحمين «ثلاثاً» إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين «ثلاثاً» حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم «ثلاثاً» أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق «ثلاثاً» بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم «ثلاثاً»، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً».



عادة غير مشتهرة كثيرا، فهذا في علمنا أنه يتلى بعد الحزب الراتب، ثم بعد ذلك يصلى على النبي ﷺ ثلاث مرات غالبا، بصوت معلوم معهود، ثم يدعو الامام للناس ثم يتفرقون، وكيفية الدعاء راجعها فيما كتبناه تحت عنوان (الدعاء) (1)

## 8 - كيف تلاوة القرآن

أنزل الله القرآن شفاء لما في الصدور، وعسلا مصفى في الأذواق، ونغمات موسيقية لها رناتها في الأسماع، فتعبدنا بتلاوته، وأمرنا أن ننصت إذا كان يتلى لتحصل لنا تلك اللذات التي تتكهرب بها الأعضاء، فتطير إلى العالم العلوي، وذلك هو المطلوب وحده بالقرآن، ثم ان النبي ﷺ قال ﴿ليس منا من لم يتغن بالقرآن﴾ (2)، وقال وقد استمع الى أبي موسى الأشعري وهو يتلو ﴿لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود﴾، وقال أبو موسى بعد (لو علمت يا رسول الله أنك تستمع إلي لحبرته لك تحبيرا) (3)، وهكذا أمرنا بترتيل القرآن ترتيلا، والترتيل هو التجويد الذي يعطى به كل حرف حقه من التفخيم والترقيق والمد وقدره، كما قدره أرباب الفن، ونهينا عن هذ القرآن، وأن نتخذه هزوا ولعبا، ولكن هل وقفنا عند ما أمرنا به، وانتهينا عما نهينا عنه ؟

كان القراءة قبل الامام الهبطي يقف كل واحد منهم حيث انتهى به النفس أو حيث يتم المعنى، فجاء الامام الهبطي فراعى مقاطع الآي ومنتهى

(1) لم نثر عليه ضمن هذه المخطوطة، ولعل المؤلف رحمه الله اكفى بما كان قد كبه قبل في «الحزب الراتب»  
(الناشر)

(2) أخرجه البخاري عن أبي هريرة (الناشر)

(3) والحديث بكامله قول النبي ﷺ «لقد رأيته وأنا أسمع قراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير داود، ورد أبو موسى لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا». أخرجه البخاري ومسلم  
(الناشر)

المعنى، فوضع وقفه المشهور، فصادف في كله إلا في بعض آيات قليلة، سلك فيها مسالك ضعيفة اتباعاً لبعض التفاسير، ثم إن وقف المهبطي مع ذلك لم يجمع عليه المغاربة، بل منهم من قاومه كالامام أحمد الصواي أستاذ الحضيكي، فقد قام وقعد في ذلك، ورأى أن القراء لا يتمشون بسببه على السنن المأثور في المد عند أرباب الفن، ولكن صرخته ذهبت في واد، وإن كان أهل (الزاوية الماسية) التي مضى فيها، لا يزالون يتنكبون الوقف إلى الآن، أذكر أنني كنت صاحبت والذي رحمه الله، في أول رمضان 1328 هـ فبتنا في تلك الزاوية وأنا لا أزال أحفظ القرآن في مسجد من (هشتوكة)، وقد صاحبني والذي وإخوتي منه إلى البلد، فحين كنا نقرأ الحزب ساروا فيه قدما بلا وقف، وكل من توقف به النفس سكت، ثم يصل بعد من معه، فجاءني ذلك الذي لم أألفه عجباً، ولم أقف على السبب إلا بعد أن قرأت ترجمة الصواي رحمه الله ورضي عنه ذلك، والأمر لما يصل إلى هذه الحالة التي فيها قراؤنا اليوم

إن أشد بأهل بلادنا السوسية في كل شيء شيء، وادعى أن لهم في كل مكرمة درجة تساوي غيرهم ب (المغرب) إن لم تفقها، فإنني إزاء تلاوة القرآن لا مناص لي من أن أعلن أنهم مع إحسان التلاوة كالضرب والنون لم يتيسر أن يتلاقيا إلى الآن، فالتجويد الذي للفلالين والجليلين بأحواز (فاس)، وبعض أهل المدن من المجهول عند قرائنا السوسيين جهالة ربما تكون عند بعضهم مركبة، تراهم في الحزب الراتب، وعند كل ما يتلى القرآن تال يَهْدُونَ القرآن هَذَا<sup>(1)</sup> مع السرعة والاعتماد، إلا من بعض أناس وقليل ما هم، قد حكى لي الأستاذ ابراهيم بن أحمد بن الحاج صالح عن أبيه عن جده أنه حين حج رأى في بعض ديار (المشرق)، إنسانا يكتب عليه تلميذ وهو يفتيه من مصحف مفتوح أمامه، فقال له لم لا تفتيه من صدرك ؟ فقال له لأنني لم أحفظ القرآن، فقال له الحاكي لكنني أحفظه كله عن ظهر قلب، فافتتح يقرأ

---

(1) هذا الشيء هَذَا وهذا . قطعه سريعا، وهذا القرآن أسرع في تلاوته. (الناشر)

بتلك القراءة المسرعة التي لا تعرف قدر المد ولا تبين الحروف ولا الترتيل، فجرى بملء فيه نفسا واحدا، فإذا بالآخر طلب منه السكوت، فقال له أهذا هو الحفظ التي تزعمه، فالجهل أولى من حفظك هذا.

تلك حكاية حقيقية كشفت عما في تلك القراءة، على أن السوسيين إذا كانوا غالبا لا يعرفون الترتيل، فإن مخارج الحروف والاعجام من أفواههم على غاية الاتقان، على عكس أهل المدن وأحواز (فاس)، و(مراكش)، فإن ذلك عندهم غير معهود، خصوصا الاعجام، فإن بعضهم أبعد الناس عنه، فرضي الله عن أستاذنا شيخ الاسلام أبي شعيب الدكالي الذي حكى لنا في درس الشيخ خليل بعد عصر يوم في سنة 1342هـ، ونحن في (المسجد اليوسفي بمراكش) في معرض عدم اعتناء المغاربة بالاعجام، أنه كان مرة يلقي درسا من «كامل المبرد»، في (الجامع الأزهر)، فجاءت كلمة جذوة، فنطق بها بالبدال المهملة، وقال إن هذه اللفظة في القرآن، وقال فقال لي أعمى قاعد إزائي، لا أيها الشيخ ليست هذه اللفظة في القرآن، قال فقلت له أين أنت من قول الله «لعلي آتيكم منها بخير أو جذوة من النار لعلكم تصطلون» (1) قال فقال لي هذه جذوة بالذال المعجمة وأنت تنطق بها مهملة، وهذه غير تلك، قال فصرت من ذلك النهار أعتني بالاعجام، حتى تمرن عليه لساني، هذا ما حكاه أستاذنا وهو شاهد واضح لما نقول

ثم لو كان الترتيل وحده هو الذي ينقص السوسيين أصحابنا هؤلاء، لكان غلطة من ذي مروءة عثر، ولكن الأدهى والأمر هذه القراءة المحدثه التي يسمونها «تَحْرَابَت»، وهي بلا شك حرام، طالما قام علماءنا كالأدوزيين والجلشتيمين ينادون في الأسواق والمواسم بحرمه القراءة بها، ولكنهم بكل أسف لا يصادفون إلا آذانا صما وقلوبا غلفا، فلا تسمع من مجامع الطلبة إلا

---

(1) الآية 29 سورة القصص

الصباح بها صباحا ينقطع به نياط القرآن الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، خصوصا ما كان يقع في المواسم السنوية، كموسم (تازروالت) و(تاعلات)، وسيدي محمد بن عبد الله في ساحل (بوعمرانة) ومواسم (هشتوكه)، حيث تجتمع مئات من الطلبة في مسجد المكان الذي أقيم فيه الموسم، فيعزل طلبة كل مدرسة على حدة، فيتناوبون قراءة الأرباع بتحزابت، والآخرون يتربصون بهم أن يسقطوا أو يتلفوا كلمة، أو يغلطوا في وقف، أو يعثروا أدنى عثرة، وويل وويل لمن سقط جدهم هناك، فيرون من السخرية والاستهزاء والتصفيق عليهم والتنديد، ما لا ينسوه أبد الآبدين، وربما يعتمد بعض المُجَّان إلى مسدس، فيطلق منه عند كل وقف طليقة، وذلك في وسط المسجد وهو مكتظ بالطلبة، ولكن الطلبة كما يزعم لهم الزاعمون مغفور لهم كلما اجترموه كيفما كان، وهذه عاداتهم في المواسم، خصوصا المواسم العظمى كالتي ذكرناها، مع تداول إنشاد الأشعار أيضا، فترى القراء الأقحاح يتناوبون أبيات «جيم عدددهم» «ثلاثة مكملا» وطلبة مدارس العلم يتناوبون أبياتا عربية صحيحة المعنى، يعدونها بالحفظ والاستظهار، وقد قسموا أنواعها بينهم، فيحفظ زيد مثلا من بحر الطويل مائة بيت أوها كلها «ألا ليت شعري» وعمر مائة أخرى مفتتحة «بعليكم سلام الله»، وهكذا حتى يعدوا الألوف، بحيث إذا افتتح من يجادونهم حبل المنافسة من إحدى الجماعات التي تجتمع هناك من طلبة المدارس المتفرقة حول واحد من هذا النوع، يجدون أنفسهم قد هياؤه قبل، وقد يؤدي بين طلبة بعض مدارس هذه المجاذبة حتى تخرج إلى التهاجي، فينشد هؤلاء ويرد عليهم آخرون حتى يسقط العاجزون، وقد حكى لنا عن بعض علماء عظام بعد أن مروا بهذا الدور، أنهم إن كانوا باقين في ذلك الدور ينشئون في الحين بديهة أبياتا يلقيها أصحابهم على الآخرين، كجلمود صخر حطه السيل من عل، وكل ذلك الانشاد بصيغ مختلفة معلومة عندهم، نحتاج إلى فن الموسيقى إذا أردنا أن نصورها للقارئ

## ٩ - كلمة عن ماضي تعليم القرآن وحاضره

قد شاهدت مع هذه المهمة التي تبذل في بلادنا حول تعليم القرآن، وهذا الاجتهاد العظيم الذي قاموا به في بته، ولكن هذه القيامة كلها قد فترت حرارتها منذ 1346هـ، فخلت المدارس من هذه النزعة، وفترت همم الطلبة عن هذه النجامع، وقل تعلم القرآن وخوى نجمه، واقفرت مدارسه، والأمر لا يرداد إلا شدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، بعدما كانت في (سوس) قراءة القرآن، والاعتناء بها وصلت مبلغا عظيما، قد يكذبه من سيأتي بعدنا إن لم نصوره له نحن في هذا العصر أحسن تصوير، على أن تصوير ذلك على ما هو عليه يحتاج إلى فراغ كبير وتوجه تام له وحده، وليس لنا نحن الآن ذلك، ولذلك لا يمكن لنا إلا أن نقول على لسان تاريخ هذا العصر، إن قراءة القرآن بـ (سوس) على قسمين قسم ابتدائي، وهو المنبث في جميع مساجد القرى، ويمكن أن نحكم حكما لا استئناف وراءه إذا قلنا أن ثمانين في المائة من مساجد القرى كانت كلها قائمة بهذا القسم التعليمي الابتدائي، وعشرين في المائة هي التي ربما يفتر فيها التعليم بعض السنين، على أنني أخاف أنني أجحفت حيث أخرجت العشرين، في حين أن الأقرب أن أخرج العشرة أو ما دونها، ولكنني بنيت في حكمي على الاحتياط، وأما القسم الثانوي من القرآن، فتقوم به مدارس أسست لذلك خاصة، كمدرسة (فم الجمعة بآيت بعمرانة) ومدرسة (الفهم بتزروالت) ومدرسة (سيدي همو أولحسن بالأخصاص) ومدارس (هشتوكة) ومدرسة (المزار) من قبيلة (جسيمة) ومدرسة (البعير) التي تخرج منها في القرون الماضية سيدي زوين، الشهير الذي أسس بعد ذلك مدرسته، التي لا تزال قائمة بـ (الحوز) إلى الآن، ومدرسة (إكثض)، الذي كان من أساتذتها الأستاذ الشهير محمد بن ابراهيم أعجلني، فهذه المدارس وأمثالها الكثيرة، لا تشتغل إلا بإتمام الدراسة من الذين شدوا في القرآن قبل ذلك، ومنها من تعتنى بالقراءات السبع، ومنها من يعتني ببعضها .

فهذه الكلمة المختصرة كافية الآن، وإنما أحب أن أختم هذا البحث بخكاية توثر، تبين لك أن (سوس) هو منتجع أهل الجنوب في أخذ القرآن، اشتكى طلبة (حاحة) على القائد الشهير الحاج عبل الحاحي، فقالوا له إن الطلبة السوسيين يتكاثرون علينا في نزهتنا التي نقيمها رأس كل سنة، فنحب منك أن تقطعهم عنا، فصار القائد يسألهم عن أحوالهم، حتى بلغ بهم السؤال عن الذين تعلموا منهم، فصار كل واحد يقول أخذت عن فلان السوسي ب (سوس)، والآخر يقول ذلك، حتى قالوه عن آخرهم، فقال لهم حينئذ السوسيون هم أشياءحكم ثم تعقونهم، لا والله لآمر بإخراج واحد منهم في نزهتكم، فخرجوا يتعثرون في أذيال الخيبة

## — 10 — نزهة الطلبة السنوية

رحمك الله يا مولاي الرشيد، وطيب عظامك تحت الثرى، فقد والله رفعت فوقنا نحن الطلبة راية خفاقة، ترفرف علينا أيان كنا حواضر وبوادي، وجعلت لنا في عصرك وبعد عصرك ما نمر به على الجهلة شم العرائين رافعي الرؤوس، كنت رحمك الله أسست لنا هذه النزهة بسبب إعانتنا لك، حيث أففنا على ذلك الجريح الاسرائيلي، وقد صرعه بقوة جأشك، وعضلاتك الصلبة حمية على ما كان انتهكه من الحرم، وتعداه من الحد الذي حُدَّ له ولذويه، فعرفت لنا هذه اليد الصغيرة، فبواتنا مقاما نطل من عليائه على من تحتنا منذ ثلاثة قرون أو نحوها

هذه دول العصر الحديث التي لها ما لها في تنشيط العلم وذويه، هل جال قط في أدمغة السياسيين أن ينشطوا أبناء المدارس بنصبهم ولو يوما واحدا على منصة الحكم، حقا كان ذلك أو باطلا...؟ حقيقيا كان ذلك أو مموها

النزهة السنوية عامة في جميع أنحاء (المغرب) حاضرت وباديته، فالحاضرة يكون فيها ذلك رسميا في (فاس) و(مراكش)، ويكون لذلك من الأبهة واعتناء

الحكومة ما يجعل ذلك حفلة شعبية يشارك فيها كل الأهالي من هاتين المدينتين، بحيث ترى فساطيط الأغنياء والتجار في ضفتي (وادي الجواهر) بـ (فاس) ممتدة من سور (فاس الجديدة) إلى أن تتجاوز أكثر من خمس كيلومتر كما يحكى، وبحيث يكون في (مراكش) بسيط الحارثي إلى المنارة إلى سفح جبل جليز، كله يزخر بمن يحضرون من الأهالي منتبين بقبابهم هنا وهناك، حكى لي أستاذي سيدي اليزيد الروداني رحمه الله، عن تلك النزهة التي حضرها أيام المرحوم مولاي الحسن، شيئا غريبا عنا نحن الذين وقع لنا مثل ما قال المتنبي

جاء الزمان بنوه في شبيبته فحمدوا وأتيناه على هرم

فكان يقول إننا نمكث هناك دائما أكثر من الشهر، وجميع المؤن قامت بها الحكومة، والنزهة عندنا فيما يفضل من الدراهم لا فيما تنفقه، والمرق واللحوم التي تبقى كل عشية إنما نسكبها في الجداول، التي تتدفق بين أيدينا مارة إلى البساتين التي في شرق جليز، وكنا نرجع دائما في كل نزهة بعشرات من الريالات لكل واحد، ومن ذلك يكتسى ضعفاء الغرباء من الطلبة، كسوة تكفيهم إلى أن تدور النزهة الأخرى، وكان السلطان إذا صادفته النزهة بـ (مراكش) يهدي للطلبة هو وجميع وزرائه وأمنائه وحاشيته، فوق العادة ما تمتد به أيام النزهة إلى شهرين، ثم حكى عن سنة كان فيها أحد سفراء الدولة العثمانية بـ (مراكش)، فبعد أن أهدى السلطان وكل من معه على العادة المعتادة في ذلك الوقت، جاء السفير في كبكبة من أصحابه أخيرا فأهدى مائة لوز، فاتصل الخبز بالمرجع الأعلى، فأمر أن يعير كل من معه هدايا جديدة للطلبة، فيخرج كل وزير أو أمين أو كبير في الحكومة، أو من له منصب فيها يوما خاصا وحده في موكب كبير فيهدي على حدة، فتتابع علينا الأيام بالهدايا، والأوامر أصدرت إلى الطلبة أن لا يتفرقوا وإن تطاول بهم الشهران، فجلسنا حتى وقع الملل وضجر الطلبة، فصاروا ينسلون، ولم يأت يوم الاختتام حتى قل من هناك .

هكذا كان أهل ذلك العصر، تدر عليهم النعم حتى يسأموها، وأما طلبة هاتين الحاضرتين اليوم فقد وقعوا في العكس، فأول ما يصنعون أن يجمعوا من بينهم ما يعتمدون عليه في نصف الشهر الذي يمكثونه اليوم، ثم تمدهم الحكومة بما لا يسمن ولا يغني من جوع، بحيث لا يقوم بهم أكثر من ليلة أو ليلتين، ثم ترى الطلبة يتكففون من عند العمال والتجار برسائل يكتبونها إليهم، حتى أن أهل المروءة من الطلبة ينقطع عن تلك الحفلة اليوم، ولو أننا نرجو كل الرجاء من حكومة جلالة سلطاننا، الذي نجبه من أعماق صدورنا، ومن معاونيه من رجال الحماية أن يستدركوا هذه الحالة التي تسود وجه الطلبة، لكان بعض العقلاء يميل إلى أن قطعها أولى من بقائها، ولكنها رمز ينبغي أن يكون خالدا يدل على يد الرشيد وخلفائه من آساد ملوك الدولة العلوية المحيدة

تلك نزهة الحواضر (فاس) و (مراكش)، وتكون (الرباط) و (سلا) و (مكناس) من التابعين لها بإحسان، وأما البوادي فنزهها بدوية، تنكيف في كل ناحية بطباع أهلها، فهناك طلبة (الرحامنة) و (حمر) و (الشياطمة) و (دكالة) و (الشاوية) و (السراغنة) و (تادلا) يقيم كل مع أفراد قبيلته نزهتهم على حدة، وكثيرا ما ينفرد طلبة كل فخذ في القبيلة عن غيرهم، فيخرجون ويدورون قرية قرية حتى يستوفوا قراهم، وهم يعمرن أوقاتهم بتلاوة القرآن إن غلب عليهم أهل المروءة والجد، وإلا فإن هناك خيلا تتسابق، وأهدافا يترامونها وألعابا مختلفة، والقبيلة كلها احترام وإجلال وإكبار لحفظة القرآن الكريم، وكذلك طلبة قبائل (جباله) و (الريف) فإنها تسلك هذا المسلك بعينه

وأما قبائلنا السوسية وهي المقصودة، وإليها يساق الحديث، فنزهة بعض طلبتها أعلى من نزه كثير من تلك البوادي المتقدمة، وعندي من الحجج التي ستمر بك ما أعلن به أنها أيضا أعلى من نزهة كل الحواضر، حتى (فاس) و (مراكش)، وإليك البيان والبرهان التي يأتي به من كان من الصادقين .



قبائل (سوس) فرقتان فرقة في الجبال وفرقة في السهول، فأما التي في الجبال وما إليها فـ (إيلالين) و (أيت صواب) و (أيت حامد) و (أملن) و (سملالة) و (رسموكة) و (بعقيلة) و (مجاط) و (إفران) و (الأخصاص) و (بعمرانة)، وما يتخللها من قبائل أخرى، وأما التي في السهول فـ (أيت بزايم) و (أيت أوكلو) و (جرارة) و (المغذر) و (ماسة) و (هشتوكة) و (هواره)، وقبائل (راس الوادي) و (سكتانة)، والتي تتأخها عن شمال من (حاحة) و (متوكة) و (إداو تنان) و (إداو زكي) و (إداو زال) و (إداحمود)، وما إليها من التي تسكن في سفوح الأطلس وبعضها فيه بنفسه، فأما الفرقة الأولى التي تسكن في جبال (جزولة) فهي من قبائل (سوس) يزخر غالبا بالطلبة، فكان لهم شأن أي شأن، فإذا جاءت أيام الزهرة فإن رؤساء القبائل يطوون الرؤوس تحت الأجنحة، حقيقة لا مجازا، فيكون الطلبة هم الذين يديرون دفعة السياسة في القبيلة في أيام الزهرة كلها، فهم الذين يصدرن الأحكام ويبرمون وينقضون ويفصلون الدعاوي، ويواخذون من يواخذون ويسامحون من يسامحون، لا متعقب لأحكامهم ولا راد لقضائهم، ولا مستأنف لما يعلنون مما يرون، وهم ينتقلون من قرية إلى قرية، والناس يقومون بضيافتهم أحسن قيام، بكل ما يعلمون أنهم يكرمون به حملة القرآن الكريم، والهدايا من أفراد القبيلة تقدم من غير طلب، والنساء يوالين مما تحت أيديهن عليهم، تطلبا للدعوات واستدرازا للبركات، وقد جرب عندهن وعند غيرهم أن الدعاء في مجمع الطلبة مستجاب، ومن جرب واعتقد فلا يرده عن اعتقاده راد، هذا والطلبة يرأسهم كبير منهم من أهل المروءة والحسب والنسب، ممن أوتي بسطة في العلم والجسم، ويكون بالرئاسة أجدر بأخلاقه وعقله قبل أن يقلدها(1)، ثم أنهم طبعاً يكونون على فرق، فأهل الاسنان والذين اعتنقوا بعض الطرق يتحاشون إلى الاشتغال بتلاوة القرآن على كيفية «تحرّبات»، لا يفترن عنها إلا في

(1) يطلق عليه غالبا سلطان الطلبة وهناك كثير من طلبة سوس يحملون هذا اللقب (الناشر)

أوقات الاستراحة، وأما الشبان الذين يطفرون مرحا ونشاطا، فإنهم يسلكون كل مسلك، ويطرقون كل باب، فتراهم في ملعب «أحواش» مستديرين، يشطحون ويرقصون ويصفقون، وزغاريت العذارى ترن من السطوح، وطاقات «الحبق» تساقط على عمامتهم البيضاء، وهم يريدون أن يمثلوا دور العامة، الذين كانت تلك الألعاب هجيرا لهم حتى أتقنوها واستظهروا أناشيدها، فترى شبية الطلبة يترنحون في الملعب، وهم ضحكة للناظرين، وهل يقصدون هم أنفسهم إلا ذلك، ثم إذا احتدم الملعب يقوم إليه رجاله من العامة، فإذا بأحواش على أيدي عارفيه قد بلغت أصواته عنان السماء، والدفوف والمزامير تقيم الملعب وتقعده، ثم إذا اكتفى الطلبة من اللعب، يدعون لأولئك العامة بما يتمنون، ولا أدري من يؤمن على دعائهم إذ ذاك في ذلك الميدان، أبو مرة أم الملائكة ؟ التي لا تفارق الانسان في أي محل كان، ذلك في الليالي، وأما في الأصائل فإن الخيول التي يجول الطلبة في سهواتها تتطارد في الميدان أو تسطر حلبات متتالية وفرقة الطلقات تصدع الآذان وترجرج الأدمغة، يدوم ذلك إلى الغروب

هكذا تمضي أيام نزهة طلبة جبالنا هذه، وهم رؤساء حقيقيون وأقطاب القبيلة، وربما يشذ بعض ذعار الطلبة فيرتكب من الافساد في البساتين والجنات والحقول ما كان يستحق عليه من أصحابها إزهاق روحه، لو لم يكن من الطلبة أصحاب السلطة ذلك اليوم، كنت سنوات 1332 هـ إلى 1336 هـ مجاورا في مدرسة (تانكرت) بـ (إفران) فكانت نزهة كل سنة تمر هكذا، فكنت أنا من الشباب المرح، فلا تسل عما أجرمنا، والله هو المسؤول أن يسبل على ذلك ذيل الغفران

فإن يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل الشباب  
وأما قبائل السهول فإن هذه السلطة التامة قلما يتمكن منها طلبة  
نزھتهم، لأنها غالبا تكون تحت إيالة الحكومة، وهل تسلم الحكومة من سلطتها

ولو ساعة واحدة ؟ على أن الاعتناء والاحتفال والتبجيل في كل تلك القبائل للطلبة، سائر على وتيرة واحدة، وهناك من بعض القبائل التي يقل فيها الطلبة من لا تقام فيها هذه النزهة، فمن بينها قبيلتنا نحن، فإنها لضعف أهلها ولاستخذائهم دائما أمام قوة جيرانهم، ولقلة القراء فيها إلا في الزمن الأخير، ما كانوا يعرفونها، مع أن القبائل التي تجاورهم كلها تقام فيها هذه الكلمة هي آخر ما تيسر كتبه حول مبحث القرآن، فله الحمد أولا وآخرا.



# الباب الثاني :

## مبحث العلوم

ويتضمن

\_ مقدمة

- 1 - أول مدرسة مغروفة في سوس
- 2 - المدارس السوسية اليوم
- 3 - كيف تشاد المدارس ؟ وبأي شيء يقوم أودها
- 4 - العلوم التي تدرس في القطر السوسي
- 5 - كيفية الدراسة العلمية



سوس قسم من أقسام الشرق الاسلامي الذي ازدهرت فيه العلوم الانسانية، التي يعرفها الشرقيون قاطبة في القرون الوسطى، فقد كانت هذه العلوم كلها تسمى دينية، لأنها ما انتشرت إلا بواسطة الدين، وما خدموها المسلمون إلا ليتوصلوا بسببها إلى تفهم الدين، وإعلاء كلمته في كل شيء، ثم إن كلمة العلم وكلمة الدين كلاهما كلمة مطاطة، فلك أن تمدّها ما شئت حتى تملأ فراغا واسعا قلما تكون له نهاية، ولك أن تلمها وتختصرها في نقطة ضيقة، ودائرة تكون ككفة الحابل أو أضيق، إذا فهمت هذا حق الفهم، وأدركت ما أرمي إليه، وعرفت أن هذه العلوم إنما قامت بأثر الدين فقط، فتعال نجول معا في فهم الدين أولا لنذكر تأثيره في إحياء العلم وإماتته، وقصدي أن نجول في مدلولهما عند الناس، ترمي بنظرك إلى رجلين كلاهما مخلص في دينه يضحى فيه بنفسه، ويرضى أن تسيل نفسه على الاسلات ذودا عن حياضه، فتجد أحدهما لا يشغل بعد ان يؤدي فرائضه إلا بتتبع شذرات العلوم، وكل فائدة حصل عليها يعتقد بينه وبين نفسه أنه يتقرب إلى الله بتفهمها، ويقيدها بالكتابة لئلا تنفلت، فتراه يجول في اللغة والنحو والفقه والأصول والحديث والتفسير، وعلم الجبر والهيئة وعلم الميكانيك والتاريخ، لا يفرق بين قديمه وحديثه، ولا بين ما كتب على أيدي اليونان والرومان والقرطاجيين، وقدماء المصريين والهنود والصينيين، ولا بين ما خلفه أهل الكتاب من علماء رومة ومداره القسطنطينية وأخبار فلسطين ولا ما ألفه مؤرخو المسلمين من ابن جرير والنجاري والمسعودي، والاصفهاني وابن بشكوال وابن العذارى وابن خلدون وابن الأثير وابن كثير وابن حجر والسيوطي والشعراني وابن تيمية وابن القيم وإمام الحرمين وعبد القادر الفاسي، فتراه يطالع كل تأليف تلك العلوم بشغف زائد، ونهمة لا تشبع، ويتبع كل ما يمكن أن يزيد به حلقة في تلك السلسلة العلمية العالمية، وهو في كل ذلك يوقن إيقانا جازما أن لا فرق بين كل العلوم سواء الاسلامية وغيرها، وأن الكل في نظره إسلامي ديني، لأن الاسلام دين عالمي أعلى شأن العلم المطلق، وما كان ليتخذ الاشتغال بأي علم هزءا، فضلا

عن أن يكون ذنبا يحاسب عليه المشتغل به، هكذا يكون هذا الرجل، وهكذا يفهم الدين، ولا يفرق بين الاشتغال بالتفسير والحديث، وبين الاشتغال باللغة والنحو والتاريخ، بل يعلم أن الناس أصناف وأذواق، فليتجه كل واحد إلى الجهة التي حيث إليه، وليخدمها بصدق وإخلاص، فإنه يوجر على ذلك، وإن كان العلم الذي يتعلمه علم السحر على نية دفع أذاه عن المسحورين، هكذا هذا الرجل، وأما الرجل الآخر فإنك تراه ضيق العطن، تكفيه نقطة عن كل بحار العالم، وتشبعه حبة، فيتخم بها تحمة يبيت بها يتقل على فراشه الوثير، ثم إن كان له بصيص من التصوف الكاذب فإنه ينبذ كل المعارف هذه، ويقول إن ذلك غرور في غرور وهباء في هباء، ويستدل عليه بآية ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾، والعبادة المعلومة عنده هي أن تنحاش إلى زاوية فتقبل على مد الاسم الأعظم الله الله الله، وما سوى ذلك ضلال في ضلال، ثم إن كنت ممن لا يمكن له أن تحاجه، كأن تكون يده أعلى من يدك، أو تستحي منه، أو تخاف أن تلاحه، حتى تقعا فيما لا تحمده عقباه، فإنك ستسمع منه ما لو كتب الآن فقرأه القارئون وهو حاضر، لانتبهوه بأعينهم قبل أن يسلقوه بألسنة من اللوم حداد، هذا وفي كل ذلك لا يقول إلا ما يعرف، ولكن الجاهل بالشيء الحامل على متعاطيه لا أخال إلا أنه في صوب عظيم، وذنوب كبير.

هذان رجلان القينا عليهما هذه النظرة القصيرة، فلا شك أن أمثال الأول إذا كثروا في عصر من الأعصر، فإن همهم هي التي تحمي العلوم بأنواعها، وترفع لها رايات خفاقة فيسعد بهم الجيل، وتعلو بهم كلمة الأمة وتحلق بمدارك أبنائها ونشاطهم في السماوات العليا، فالمدارس تشاد، والطلبة يحترمون، والعلماء متبوعون، والتأليف تؤلف، والأسئلة والأجوبة تصدر وترد، والباحث حول المشكلات ثار نقعها، حتى تبلغ الحق لكل ذي عينين، وإذا كان أمثال الرجل الثاني كثيرون في عصر من الأعصر، ويدهم هي العليا، وكلمتهم هي التي تؤسس وتقوض، وآراءهم هي المقاييس التي يقيس بها الناس



آراءهم الأخرى، فلا تسل عن جهل يطم على العباد، وجهل يسود في البلاد حتى تكون البقية الباقية من أمثال الرجل الأول مسترذلين مدفوعين عن الأبواب، معدودين من سقط المتاع، فيطوون أجنحة علومهم الخفاقة وقلوبهم تتميز غيظا، ويتكبون المحافل التي يتصدرها أمثال هذا الرجل الثاني، لئلا يكونوا ضحكة وهم حاضرون كما كونوها وهم غائبون، فمتى وجد من أولئك أغراض تخطته المنون، فهم متى اتفق أن يجمعهم وحدهم مجمع، فإنهم فيما بينهم ينشدون بلسان حالهم وبلسان مقالهم

هذا جزاء امرء أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الأجل  
وكثيرا ما أسمع البيت المشهور «والجاهلون لأهل العلم أعداء» لكنني لم أذق معناه حق الذوق إلا في هذه الغربة (1) في بلد كثر فيه أمثال هذا الرجل الثاني، وانغمر فيه بقايا من أمثال ذلك الأول، فلا حول ولا قوة إلا بالله.  
هكذا علمنا أن العلم لا يحيا بنفسه، وإنما يحيا بأسباب ويموت بأسباب، وحجة من يقتله أو من يحيه يستمدا لها معا من الدين فيما يزعمان، واحدهما بلا شك في ضلال مبين.

إذا علمت الآن أن علما الدين يتخذها كلا هذين برهانا وحجة في يده، فلنعلم الآن أن هذا العلم الاسلامي كان مزدهرا في الزمن الذي كان فيه الدين مفهوما على حقيقته، وسبب ازدهاره هو الدين، ثم كان مصوحا في الزمن الذي لبس فيه الدين مقلوبا، والجاهلون يحسبونه هو الدين الاسلامي بنفسه، فكان سبب اضمحلاله أيضا الدين، ولكنه الدين المقلوب.

هذه كلمة كتبتها كالمقدمة لهذا الباب، وقد بعثها مني باعث خاص، فكتبتها وأنا متوتر الأعصاب، أودعت فيها ما جال في ذهني إذ ذاك، ولا بأس أن نتركها على ما هي عليه، فلنعط العنان إلى المقصود، والمقاصد التي سنتكلم

(1) يعني بذلك رحمه الله مفاهيه ببلدته (إلغ) حيث ألف فيها مؤلفاته (الناشر).

حولها هي هذه

- 1 — أول مدرسة معروفة في سوس.
- 2 — المدارس السوسية اليوم.
- 3 — كيف تشاد المدارس ؟ وبأي شيء يقوم أودها؟
- 4 — العلوم التي تدرس في القطر السوسي.
- 5 — كيف الدراسة العلمية؟

## 1 — أول مدرسة معروفة في سوس

لا أستحضر الآن أنني رأيت ذكر مدرسة بسوس في كتب التاريخ التي مرت بين عيني قبل المدرسة «الوثائية» بـ «أكلو»، التي تخرج منها عبد الله بن ياسين التمارقي، وكانت تسمى (رباطا)، والمنقطعون إليها يسمون (المرابطين)، ومن هناك اقتبس ابن ياسين هذا الاسم، الذي أطلقه على الصحراويين الذين أووا معه إلى الجزيرة الصغيرة في (وادي النيجر)، وليس هو الذي أطلقه بادئ بدء، ثم نسبت الدولة كلها إلى هؤلاء، فيقال فيها (الدولة المرابطية)، وعلى ذلك الاسم ركب إسم مؤلف الصيرفي المسمى «السنية في الدولة المرابطية» (1) وإنني رأيت أيضا أن ابن ياسين بعدما انتصر انتصاراته الأولى في الصحراء، أخذ من خمس الغنائم قسطا فأرسله إلى فقهاء (جزولة)، فمن هم هؤلاء الفقهاء ؟ أيقصد بهم وجاج بن زلوا ومن إليه في مدرسته، ومن تخرج به من تلاميذه، أو هناك علماء آخرون شادوا للعلم أمكنة، قبل أن يرجع وجاج من عند أستاذه أبي عمران الفاسي ؟ لا أدري، ولا أخال غيري يدري الجواب عن هذه النقطة، لانطماس التاريخ

(1) لعله يقصد «الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية» لأبي بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي المعروف بابن الصيرفي كاتب الأمير تاشفين بن علي توفي 557 هـ، راجع مجلة كلية الآداب عدد 7 / 191 (الناشر)

المفصل لحواضر (المغرب)، قبل أن يقوم المرابطون، فضلا عن بوادية المتناحية ك (سوس)، وإن كان القياس والنظر يعطي وجود مدارس ورابطات للعلم، قبل وجاج غير بعيد، لكن العلم الحقيقي عند ربك.

## 2 - المدارس السوسية اليوم

أظن أنني وإن تتبععت هذه المدارس جهدي لا يمكن لي أن أستقصيها، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وإنما ينبغي أن نذكر أن (سوس) مشهور بالمدارس من القرن السابع فالثامن، وهلم جرا إلى الآن، وكثيرا ما أقول ان الدولة التي اعتنت بالبادية إعثناء تاما، فأقامت لأهله دعائم الدين، وأسست لهم مراكزه وحملتهم على إعلاء شعائر الاسلام، هي (الدولة اللمتونية) المجيدة، ثم تتبعها في ذلك (الموحدية)، وإن كانت هذه زاد عصرها بكثرة المدارس وازدهار العلوم، فقد رأيت كتاب «مفاخر البربر» وفي «رحلة العبدري» وفي كتاب لابن قنفذ القسمنطيني ما يدل على أن (حاحة) كانت تزخر بالعلماء، وما ظنك بقبيلة فيها أمثال العبدري وأولاده وإخوته، الذين استجاز لهم في رحلته سنة 688هـ وأمثال البوزكريين ومن إليهم من العلماء الذين يحملون راية التصوف بيد، وراية العلم باليد الأخرى، أفتظن أن (حاحة) تكون هكذا ؟ وما يكون لجبال (جزولة) من ذلك الحظ الأوفر، مع أنك رأيت في أول القرن الخامس عصر وجاج ما رأيت من فقهاء من تلك الجبال يذكرون، والجزوليون دائما في كل عصر سباقون إلى الغايات، ولكن مع كل ذلك إنما هذه فروض، ثم في القرن التاسع اشتهر الحامديون والكراميون بالعلوم، والكراميون هؤلاء من حفدة ابن العربي المعافري، وكانوا ممن أفلتوا و(الأندلس) يطوقها فرناند بجيوشه، و(غرناطة) تلفظ نفسها الأخير، أفلتوا هم مع حفدة لابن رشد أيضا، ولا يزالوا بـ (إداغوثر) إلى الآن، ومعهم أناس آخرون يسمون (أيت أغرابو)، أي أصحاب الزورق، لأنهم ركبوه في بعض سواحل (الأندلس) فنجوا به إلى

سواحل (المغرب)، فسكنوا بهذه الجبال، ولا يزالون معلومين بذلك إلى الآن، ثم في القرن العاشر كان الحسن التلي تلميذ ابن غازي، ومحمد بن إبراهيم التمارتي، فكانت مدرسة (تمارت) شهيرة بالعلوم تشد إليها الرحال، وقد تخرج منها عشرات، وكذلك عاصره كثيرون ممن لم أستحضرهم الآن، ويكفي من وفرة المدارس والعلماء والكتاب والأدباء في القرن العاشر، أن (الدولة السعدية) لما نبعت في أول هذا القرن وجدت من هذه الجبال من يليقون ليكونوا أدباءها وعلماءها وكتابها، فاتمليون والهوزاليون والبعقيليون واليسيون تجدهم كثيرا بين من يجري بهم قلم التاريخ إذ ذاك، ثم في القرن الحادي كانت مدرسة عبد الله بن يعقوب السملالي وأولاده، ومدرسة (أزاريف)، ومدارس الرسموكيين والصوايين زاخرة، ويكفيك أن ممن تخرج بها حتى ما طلع من (سوس) إلا وهو يدرس إمام زمانه الحسن اليوسي، فراجع فهرسته في ذلك، فقد أثنى عليهم في الاعتناء بالعلوم العربية اعتناء زائدا، ومن أشياخه عبد العزيز الرسموكي، غريق (وادي الغاس)، والذي نشط العلم في (سوس) كثيرا السعديون، فراجع كتاب «الفوائد الجمة» لترى ما ليس لك بحسبان، ثم جاء السلاطين أحفاد الشيخ أحمد بن موسى، فزادوا في ذلك على قدر وسعهم، مع ما يناوئون به من كل جهة

على قدر الرداء مددت رجلي ولو طال الرداء لها لطالت

وفي أيامهم كان اليوسي بجبال (جزولة)، فتلقى في عاصمتهم (إيليف)، وقد حشروا إليها علماء (جزولة) بعدما احتفلوا بها، ثم لما جاء الشيخ ابن ناصر في النصف الأخير من القرن الحادي وقد طار صيته بتعليم العلوم، ويده ممدودة بالاعانة لكل غريب انقطع إلى القراءة، انثال إليه طلبة (جزولة)، فرجع منهم فحول هم الذين أقاموا أسواق العلم الحافلة في القرن الثاني عشر، ونشر العلم كان من ماهيات الطريقة الناصرية، فيه حقا انتشرت هذه المدارس في القرن الثاني عشر والثالث عشر، حتى تنافست القبائل في بناء المدارس، وقُل أن تجد

الآن قبيلة إلا وفيها مدرسة أو مدرستان أو أكثر، وإذا كانت القبيلة كبيرة يبنى كل فخذ مدرسة على حدة، كالبعقلين والمجاطين والرمموكين، فيجب أن يعلم التاريخ وأن يعلن المؤرخون، أن ازدهار العلم والدين في (سوس) في هذه القرون الثلاثة، إنما يرجع إلى الشيخ ابن ناصر بواسطة تلاميذه وتلاميذة تلاميذه، وهذه مدرسة الحضيكي في (أفيلال) ما قامت إلا تحت ظل الطريقة الناصرية، وكذلك مدرسة العباسيين ومدرسة الصوائي، وهذه المدرسة الجشتيمية كذلك ما قامت إلا بذلك، ومدرسة الأسفركيسيين، وأما المدرسة التمكلاجية المؤسسة في القرن الثالث عشر، فحالتها أشهر من نار على علم، فقد امتد بسببها خير كثير بواسطة الوعاظ في الأسواق، الذين يعلمون العامة أصول الدين والعقائد الصحيحة، حتى لقد أصبحت أسواق جبال (جزولة) و (أزغار) في زمان بركة التمكلاجيين كأنها مدارس، ووعاظها هم الذين ينتقلون من سوق إلى سوق، وليس لهم شغل إلا هذا التعليم المذكور، كأنهم سفراء الدين والرسل، الذين يعرضون الحكم على كل وارد وصادر، مع قناعتهم بما تيسر مما يعين به من حضر، ومن أولئك الوعاظ سيدي إبراهيم السمكني، كان في الفقهيّات لا مجارى، وسيدي محمد التميليني، كان وعظه يفلق الصخور الصم

ثم تفرعت عن المدارس الجشتيمية والتمكلاجية وكلاهما ناصرية المشرب، مدارس كثيرة، فمحمد بن ابراهيم التمارقي الذي كان شيخ جماعة كثيرة من العلماء، الذين أدركناهم كمحمد بن عبد الله، مؤسس المدرسة الإلغية، تخرج من الجشتيمية وكذلك تخرج عنها الحاج الحسين الافرائي، والحاج ياسين، والحسن بن الطيفور، وناهيك دينا وجمالة بأخر الجشتيميين الحاج أحمد، الورع السني الكبير

وتخرج من المدرسة التمكلاجية الأدوزيون، الذين أخذ عنهم مسعود المعدري، وعلماء (أساكا) ب (إفران)، وتخرج منها أيضا سعيد الشريف،

صاحب مدرسة إداو محمد الطائفة الصيت، والحسن التلي، صاحب مدرسة إرزان، ومحمد المزوضي الشهيرة مدرسته إزاء ضريح أحمد بن علي بُوتَزُوا، وبهذا تخرج كل العلماء السباعيين أصحاب المدارس هناك، وتخرج من المدرسة التمكُلجنية أيضا، الحسين نيت بهي المتوَكِّي، فمن هنا تدري ما قلت لك من أن بركة الناصريين من كل جهة هي التي عمت (سوس)، إلى (درعة)، فكل ما فيه من دين وعلم وصلاح وسنة فمن آثارهم، وها هي الناصرية اليوم يتقلص ظلها، وهؤلاء أهلها كذلك يتحولون عما كان عليه أجدادهم، وها هي طرق أخرى تحل محلها، وقد أعرضت عن العلم ونفضت منها يديه، وقالت علم الرقائق والحقائق هو أولى من كل شيء، ولتركتها والزمان، فعند الممات تظهر التركات

هذه نظرة عجلي كتبها و ليس عندي ما أراجع، وإنما أستقي من بقايا في ثنايا ذاكرتي، فلعل القارئ يكتفي بإجمالها، حتى يقع على بعض التفصيل فيما سيأتي إن شاء الله

فهاك جدولاً تتبين منه المدارس الموجودة اليوم بـ (سوس)، نتبعها بتبع القبائل، لعلنا نستقصيها أو نقرب من ذلك، وسنبتدىء بالجنوب إلى الشمال

(1)

---

(1) لم يبين المؤلف رحمه الله هذه المدارس هنا وربما اكتفى بما سجله في الفصل الثاني من هذا الكتاب (الناشر).

### 3 - كيف تشاد المدارس ؟ وبأي شيء يقوم أودها ؟

إشادة المدارس وكيفية قيامها تتوقف على السبب الداعي إليها أولاً، فإن كانت القبيلة هي التي عزمت على بنائها، فإنهم يقفون بكل ما لهم مما يتوقف عليه البناء حتى تتم، والناس كلهم في ذلك سواء، فيرسمونها كما يريدون بيوتا بيوتا سفلى وعليا، وهي مستديرة في ساحة واحدة، ويبنى فيها المصلّى ومسكن الماء والمتوضأ، ومسكن الطاهية التي تطبخ للطلبة مؤونتهم، ومسكن الأستاذ الذي يشترط فيها، وهُزّي كبير يجمع فيه زرع المدرسة، الذي تدفعه القبيلة كما سنيينه، وقد حضرت وأنا صغير في مدرسة إغشان وقد كانت قديمة متشققة من جميع جوانبها، وجدرانها متداعية تكاد كلها تنخر على الأرض، فاجتمعت عليها القبيلة بإذن الحاج إبراهيم الأغشاني «أمغارها»، فبنوها بعد أن هدموا أكثرها، فصارت كأنها تبنى من جديد، فشادوها على الكيفية التي ذكرناها، وذلك سنة 1329 هـ، ثم بعد أن تبنى المدرسة تجعل لها القبيلة إما ربع عشر مزروعاتها أو ثلثه أو أكثر أو أقل، والغالب الذي به العمل أن ذلك يكون ثلثا، ومن هذا الثلث يمان الطلبة وأستاذهم، إما على يد أمين تضعه القبيلة على هري المدرسة، وإما أن يدفع المفتاح إلى الأستاذ نفسه، فيأكل في ذلك بالمعروف، وكثيرا ما يتجاوز بعض الشريين من الأساتذة الحد، فيرجع على ما في الهري بيعا، حيث لا مراقب عليه، حتى يتأثّل من ذلك أموالا عريضة طويلة، وقد يكون للمدرسة أحباس وحقول وأملاك، إما من الشراء بما يفضل عن المؤن في الهري، فيتحين الأمين الحريص أن يزيد أملاكاً على أملاك للمدرسة، كمدرسة بني نعمان ومدرسة تانكرت وإما من الهبات والصدقات على المدرسة، وكل هذا إنما يرصد لمؤونة الطلبة والأستاذ، وإعانة الضعفاء من غرباء الطلبة، وإما شرط الأستاذ فإنه على القبيلة، فتدفع له حظا معلوما لكل كانون، فيخرج الطلبة لجمعه في بعض القبائل، أو تجمعهم القبيلة نفسها، وقليلاً جداً أن يعطى الشرط من هري المدرسة، والشرط يكون شعيرا له بال، يناهر في المدارس

الصغيرة مائتي عبوة الفرنسية، وأما الكبيرة فإنه يصل فيها خمسمائة (500) وأكثر، وربما يصل نحو ألف إذا كثرت القبيلة جدا، هذا من الشعر إن كان هو الذي عند القبيلة، وإن كانت الذرة فإنه يعطى منها أيضا، والأستاذ الطاهر بن محمد في مدرسة تانكرت ممن يعطى الشعر والذرة، كما أن أهل الزيت أيضا وأهل الثمر منهما، وكذلك السمن يعطى كل كانون كانون إناء معلوما نسميه عندنا «تُولِيْمَتْ»، ويكون قدر كيلو، فيجتمع للأستاذ من ذلك مائتا كيلو أو أكثر في القبائل الصغيرة، وأما الكبيرة فأضعاف ذلك، وقد حضرت وأنا صغير بين طلبة مدرسة إغشان وهذه قبيلة صغيرة لا تصل إذ ذاك 300 كانون، فكان الأستاذ يملأ الخواوي المتعددة منه، وتلك السنوات مخصبة وقل أن تجد أهل كانون لا يمحضون بقرة أو غنما أو هما معا.

ثم إن المؤونة التي ذكرناها للطلبة هي التي تصنع من مطبخ المدرسة من شعر هريها، وفي بعض القبائل تطبخ القبيلة نفسها للطلبة، كقبيلة تانكرت، فإن أهلها يتبعون الكوانين بطعام المدرسة قرية فقيرة، وهناك من يعلم من عنده النوبة، ثم في رمضان يحتفلون بالطعام أي احتفال، فيجتمع على قصعة واحدة كوانين متعددة، فيقتل الكسكسو فتلا خاصا، ويسقى بالسمن الكثير، ويملاً ما فوقه لحما، ثم مع ذلك ترفق القصعة بسمن آخر في سكرجة، وماء مرق في إناء آخر، فيأكل منه الطلبة عند الافطار أحسن طعام يذاق، وللأفرائيات يد صناع في الطهي فيها يعتدن طهيها، فكنا ونحن شبية متقاربون إن امتلأنا بذلك الطعام وتمطينا شعبا، نقول فيما بيننا لا بد أن نزور هذه المدرسة في كل رمضان، من أجل هذه الجفنة التي هي من الجففات الغر يلمعن في العشي لا الضحى كما قال ابن ثابت، هذا والتي تطبخ في المدرسة للطلبة، إما أمه تملكها المدرسة، وإما خادم تستأجر لذلك، والأطعمة المعتادة من طعام المدرسة الغداء والعشاء فقط، ولا زائد إلا ما كان من الأستاذ فإنه يزداد له طعام وجبة نصف النهار أيضا، لأن الغداء عندنا ما يتناول صباحا، لأن عرفنا بذلك لم يزل كما كان قديما عند إخواننا العرب، ويعطى وراء ذلك شعيرا



يبيعه ليشتري به اللحم والسكر والادام، بحيث يكون مكفى المؤونة، وإن كانت له بغلة فإن مؤونتها أيضا مكفية من هري المدرسة، ثم إجارة الأستاذ المشترط تكون مسانحة

هكذا تتمشى المدرسة إن كانت للقبيلة، وأما أن يقيمها إنسان لنفسه ولم يعتمد فيها على أحد، فإن هذا قليل عندنا بـ (سوس)، وربما لم تكن مدرسة كذلك إلا مدرسة تمكّلت، ثم أنها لم يقدر صاحبها أن يستمر على ذلك إلا ببركة القبائل التي تعطى لها الأعشار، وهذه المدرسة الالغية قد أسسها صاحبها بنفسه، ولكنه مع ذلك، اعتمد فيها على بعض المرابطين الذين يعينون بأعشار يمان بها الطلبة، ولذلك يصح لنا أن نقول إن إقامة إنسان واحد للمدرسة بنفسه، من غير أن يحتاج فيها إلى من يعينه، ليس ذلك عندنا في هذه البلاد لقلة المال، ولكرازة النفوس، وذلك لأهل الحوز الذين يعينهم خصب البلاد وسعة الفلاحة كمدرسة الرسموكي في (بوعنفر)، فإنه لا يعينه أحد، مع أنه قام بالمدرسة خير قيام، وكذلك مدرسة الساعدات وإن كان أساتذتها ربما يجدون من السباعيين إخوانهم بعض إعانة، عندما يدورون عليهم رأس كل سنة، وأما مدرسة مزوضة فإن القبيلة تحرث وتحصد، وتعين كل إعانة في كل شيء

هكذا تكون المدارس بـ (سوس)، فعملها إذن مثل المساجد الصغرى في القرى، غير أن هذه تختص بسكان القرية، يتعلم فيها أولادهم لا غير، وتلك مشتركة بين كل أهل القبيلة، وهي مفتوحة الأبواب لكل من جاء أيا كان، لا يسأل من أين ولا إلى أين، وإدارة شؤونها التعليمية بيد أستاذها، فيأوي من يشاء ويصرف من لم يرد فلا مرد لقضائه، والعادة متى أرادت القبيلة أن تشتترط أستاذًا، ويسمى هذا «الفقيه»، أن يجتمع رؤساء القبيلة معه ويبينون له ما يشترطون به، ثم يقبل أو يطلب الزيادة، ثم إن توافقوا فذاك، وإلا فينصرف بسلام، ثم إن دارت عليه السنة ودار مثل اليوم الذي دخل فيه، في أي فصل

كان تجتمع القبيلة أيضا، فإما أن يعيد معهم وإما أن يودعهم، وهذه العادة نفسها هي التي تتبع طريقتهما بين القرى وبين طلبة مساجدها

#### 4 - العلوم التي تدرس في القطر السوسي

ما جاء القرن الثاني عشر والثالث عشر، حتى كانت العلوم قبل القرن العاشر مستوية الميزان في التعاطي، من أقصى (البلاد العثمانية) في الشرق إلى أقصى بلاد المغرب، فهذه كتب تواريخ هذه القرون تفصح بأن الذي يتعاطى في الشرق أجمع، وفي الأقطار التي في جنوبي البحر الأبيض المتوسط، من مصر وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب، لا يتجاوز النحو وبعض قليل من اللغة، وما يتبع هذين من علم التصريف وعلم البيان، على ضؤولة تأثيره في الألسن، حتى كان العلماء المدرسين في هذه القرون الثلاثة لا يتعاطونه، و«الفقه الجامد» الذي لا يعدو وشروح الأجاهرة حول «المختصر»، و«الرسالة» و«ابن عاشر»، وبعض متون أخرى تروج في بعض البلدان، ولا تعرفها البلدان الأخرى كـ «فقهية الفاسي» في فاس، و«مجموع الأمير» في مصر و«الرسومكية» و«السملالية» في سوس، هذه عند المالكية، ويعرف كذلك الجميع «المنطق»، ولكن لا يدرس منه إلا «السلم»، الذي ألم فيه بنقطة قصيرة، وذلك كل ما يعرف في الشرق ويتداول، بأن كان بعض أناس وقعوا منه على كتب أخرى دراسة فذلك غير عام ولا متداول، وكذلك شاعت «التحفة»، لابن عاصم في المغرب و«الزقاقية»

وبالجملة لم يكن العلم المتداول في هذه القرون الثلاثة إلا «الفقه المختصري» الذي نخله الأجاهرة والمحشون الفاسيون، ويتمشى في ظل ذلك «متن الرسالة»، و«المرشد المعين»، و«التحفة»، و«الزقاقية»، و«النحو الألفي»، و«الأجرومية»، و«اللامية»، و«الجميل»، فهذه متون النحو المتداولة، فإن كان «المغنى في معاني الحروف» يدرس في بعض البلدان، فإن

ذلك غير عام ولا مشهور بالتداول في بلادنا، وكذلك «التسهيل»، قد أميت تدريسها إلا في بعض مدارس عندنا بـ (سوس)، فإنها تعتنى بها كما سنذكره و«البيان التلخيصي الجامد»، يعتنى به رسمياً وتداولاً، من غير أن يطلق من جموده، ثم جاء «الدسوقي»، فزاده جموداً إلى جمود، سامحه الله وأثابه بنيته، و«الأصول الرمزية»، التي يقع على فحواها وعلاماتها من تطير بالهمة إلى الأصول، ثم لا يزال بين متن «جمع الجوامع» وبين «المحلى» وبين «العبادي» و«اللقاني» كأنه عصفور في الأجراف إزاء البحر، والأمواج تلتطم بينها، فهو يقع كلما جزرت، ويطير كلما مدت، فلا يزال بين وقوع وطيوان، فكذلك يقع لمن يتطلب الأصول من جمع الجوامع مع شرحه المحلى وحواشية حتى يخرج من الباب السابع، كما دخل من الباب الأول، فهذه العلوم هي الثمالة التي أسارتها القرون في الكاس، فترى الناس طوال السنين الدراسية يتمصصونها تمصصاً حتى يفتح الله على بعضهم من عنده طاقة، فيتنسم منها روح فهم فيتنفس الصعداء، ويظن أنه من المفتوح عليهم أبواب المعارف على مصراعها

فالنحو وما إليه مما ذكرنا، والفقه المختصري والبيان التلخيصي والأصول الجمعي، هذه كل ما بقي في هذه القرون، ثم إن نبغ في بعض هذه نابغة وما أقل ذلك، فإنه لا يخرج عن هذه الدائرة، ولا ينسج إلا مثل هذا النسج، كالشيخ التاودي وبناني والمسنوي والرهوني الغريب العجيب والأمير المصري، فإن هؤلاء حقاً نبغاء ولكنهم عوض أن ينسجوا نسجاً سهلاً لنا قريب التداول، وجدناهم لم يعدوا هذه الكيفية فذهبت جهود التاودي، وذكاء الأمير، وأبحاث بناني، ونقول الرهوني في هذه الكيفية، كأنما سقط عليها اليوم ردم فتراكمت عليها أمثالها، على أن هناك أمثال ابن الزرقاني الذي حاول إحياء «الفقه الحديثي» بشرحه لـ «الموطأ» وشيخ الاسلام نابغة اليمن، وريب مصر الشيخ المرتضى، الذي كاد يحيي بهيمته علم السلف، والامام الشوكاني الذي صرخ في التقليد صرخة لو صادفت الأحياء لقطعت نياط أفئدتهم، ولكنه لم يصادف إلا الموتى، فما زال يجاهد حتى لقي ربه، فصار نسيا منسياً، وكاد يبقى

كذلك أمر الدهر لولا المطبعة اليوم، والحافظ الحجة لإدريس العراقي الذي رفع شأن المغاربة، وزاحم بمنكبه السيوطي وابن حجر، والامام اللغوي الشرقي صاحب اليد الطولى على اللغة، حيث هز بشرحه همة تلميذه المرتضى، فأخرج تلك الذخيرة العظمى، والسلطان محمد بن عبد الله صقر العلويين وواسطة عقدهم، الذي عزم أن ينفخ في العلم والهمم روحا جديدة تبعثر بها من بالقبور، ولكنه فرد بين أمة وما عسى يفعل ولو كان صاحب نهي وأمر، وأين الغربي وأمثاله ممن استنهضهم بما تتطلبه همته العليا ؟ ثم انه غلب أخيرا وسقط دون بلوغه أمنيته

فهؤلاء وأمثالهم وإن كانوا مروا في هذه القرون، غير أنهم مغمورون بآلاف مؤلفة من جملة العلماء الرسميين وأغبياء الفقهاء المخلدين إلى الأرض، فذهبت صيحاتهم في واد، وأعمالهم شذر مذر

ولذلك بقي الشرق أجمع، وجنوبي البحر الأبيض سائر على وتيرة واحدة، وعادة متحدة في العلوم التي تتعاطاها، وقد مات التفسير والحديث والتاريخ وعلم الرجال وعلم اللغة حتى لا تذكر، حتى أن العلماء ليملاً أعينهم عجباً من له بعض إمام بذلك، كما وقع للشيخ التاودي حين نزل بمصر في حجته، ثم لما استدار الزمان بدورته، ووقع الشرق في أول القرن الماضي تحت كلال «بني السين» أيقظتهم الكوارث، فصاروا يجمعون أطرافهم، ويتفقدون مكنونات خزائهم، فيحيون ما مات بعض قرون، وينفضون عنهم من غبار مئات من السنوات التي ناموا فيها، فتبعهم (الرافدان) و(وادي بردى) وأبناء قرطاجنة، ولكننا في المغرب ما زلنا كما كنا حول هذه العلوم، كأنها متحف أقامنا على عاديته الشرق، لنحافظ عليها للأجيال المقبلة، ولكن مع ذلك حصل بعض شعور في مجالس الدراسة في (الكلية القروية) بهمة صاحب الجلالة مولانا محمد بن يوسف، ثم سرى ذلك إلى مراکش، فهناك حد رأس الموجة

وأما (سوس) ومدارسها فهي اليوم لا تزال كما كانت منذ القرن العاشر،

ولا يزالون كلهم راضين مستبشرين بمعلوماتهم، قانعين بما وجدوا عليه الآباء، فلا تحس باشمئزاز، ولا تشاهد من يتطلع إلى الزيادة عما كان، كأن لسان حالهم يعيد المقالة الغزلية ﴿ليس في الامكان أبدع مما كان﴾، وعهدي بالأستاذ الأديب الشاعر أحمد بن محمد الزبيدي، وأنا أسرد عليه يوماً قصيدة أظنها لشوقي، فقلت له هكذا ينبغي أن يكون الشعر، فقال لي دعونا وشعرنا الذي اخترناه، فلا تطمعوا فينا حجة استبداله بنوع آخر، يقول ذلك من أعماق قلبه، مع أنه ذو ذوق عال في الأدب متمكن في أنواعه، على عادة أدبائنا، كما ستشاهد ذلك أمام

لذلك يجب أن تعتقد إن اطلعت على العلوم التي تتعاطى اليوم في مدارسنا في هذه البلاد، أن هذه الحالة كانت هي بنفسها حالة الشرق أجمع منذ القرن الحادي عشر، وإنما بقي ذلك في (سوس) لما ذكرنا، وتبدلت الأقطار الأخرى للأسباب المتقدمة، على أننا وقد عرفنا كيف دراسة فاس قبل النظام، سنقع في مدارس (سوس)، على كيفية أعلى وأقرب إلى النفع من تلك إذ ذاك، وسنقع على فنون تتعاطى في (سوس) ويعنى بها فيها، في حين أن فاس منها صفر قبل النظام، وستجد كل ذلك أمامك إن شاء الله

## — الفقه —

### المتون المتداولة فيه

— 1 — «المرشد المعين»، ويقرأ إما بشرح ميارة وإما بشرح الأدوزي، وبه يتبدى التلاميذ أولاً، فيقرأونه مرة أو مرتين، ويعتنى بحفظه كل اعتناء، والأدوزيون يفتتحون بـ القرطبية عادة في أول يوم، وهي معروفة في الفقه.

— 2 — «الرسالة» وهي للطبقة الثانية بعد أن تقرأ المرشد، وهي منتظمة في الطبقة الثالثة، وتقرأ بشرح أبي الحسن، وقل أن تقرأ بشرح الحضيكي

أو شرح الكرامي السوسيين، ويواخذ قراءها في هذه الجبال بحفظ ما تيسر منها ولو توخىها على الأقل

— 3 — «المختصر» بشرح الدردير، وحاشية الدسوقي، ويحضر الخرشى والزرقاني، فيراجعان كما سنذكره في نظام الدراسة وكيفية إن شاء الله

ثم إن المختصر يحفظ منه ما تيسر، وقلما يوجد من حفظ جله فضلا عن كله، وذلك متروك للدكاليين الأذكياء، خصوصا الصديكيين منهم، ولم أسمع من حفظه كله في هذه البلاد، إلا واحد يذكره الطلبة، أخذ من مدرسة (إلغ)، يسمى محمد من حفدة علماء (أيت تالات أوتنار)، وإلا الأستاذ الحسن بيبس، عالم الأخصاص، ممن أخذ عن الأستاذ سعيد الشريف وأناس آخرين قليلين، وكان سعيد هذا قواما على المختصر وقد جزأ أنصبه فيها بعض طول، بحيث يتم دراسة في حد محدود من الزمن، ولا تزال معلومة أنصبته في المختصر، وغيره من المتون التي يدرسها، حتى لقد سمعت من يعيرهم به، فيقول إنهم لا يعرفون الفقه إلا التسولي، ولا يفتون ولا يحكمون إلا به، وهذا المعير جاهل بلا شك بمكانة ذلك الشرح النفيس، ويعتنى بحفظ التحفة كثيرا، والزرقاتية بشرح التاودي، ويعتنون بحفظها، فهذه المتون هي التي تدرس في الفقه، وشاع تداولها، وقد كان الأستاذ محمد بن مسعود، أدخل في مدرساته في مدرسة (بني نعمان) مجموع الشيخ الأمير، ولكن ذلك انقطع بوفاته

## — النحو —

- 1 — «الأجرومية» هي الأولى بادیء ذي بدء حتى تتم، والشرح الذي يعتمد عليه فيها إما الأزهرى، وإما شرح المحجوبى السوسى.
- 2 — «الجمال» بشرح الرسمىكى.

- 3 — «الزواوي» بشرح البعقلي السوسي
- 4 — «الامية الأفعال» إما يبحرق وإما بشرح السوسي، ومدرسة (إلغ) لا تقرأ فيها اللامية غالبا إلا بهذا.
- 5 — «المبنيات» بشرحها، وكلاهما لسيدي محمد أبراغ دفين (تانكرت بإفران)، وهناك متنان آخران كل واحد منهما يقال له المبنيات، وإحدهما للفلاي وأخرى لغيره، ولكن الأولى «البراغية» هي التي يعتنى بها عندنا في (إلغ)، وغيرنا يعتنى بغيرها.
- 6 — «الألفية» بشرح المكودي والموضح والبهجة للسيوطي، ويحضر الأشموني على النظام التي سنذكره في كيفية الدراسة إن شاء الله، والأدوزيون ومن إليهم يقرأون الألفية بمأيسر المسالك للأدوزي

فهذه متون النحو عندنا في مدرسة (إلغ)، وربما التفتوا إلى التسهيل، ولكن ذلك قليل جدا، والذين يعتنون بالتسهيل هم الأساتذة الأدوزيون، خصوصا آخر المدرسين الحذاق الصابرين المحفوظ، فإنه كان يدرسها بشرح ابن عقيل والمرادي أو بهما معا، وكان على ذلك قواما، وهذه متون النحو، والتحفة لابن عاصم بشرحي التاودي والتسولي، وكثيرا ما يعتنى بالأنخير في المدرسة الالغية، ويعنى بها أشد العناية، حفظا وتقديرا واستظهار شواهد، ولا يسامح في ترك حفظ أية واحدة منها أحدا، وتلى كلها دائما جماعة أو فرادى، وسنلم بما يتعلق بذلك في كيفية الدراسة، فانتظر فأنا معك من المنتظرين

## — الفرائض

لا يتعاطى في ذلك بعد فرائض المختصر إلا منظومة الرسوكي بشروحه عليها، وشروحه عليها ثلاثة الصغير والوسط والكبير الذي جمع فأوعى، ويهتم

يحفظها كثيرا كثيرا، وهذا العلم من علوم السوسيين المشهورين بها، وهم يدرسونها بعد أن يحفظوها بالعمل كما سنذكره، فيكون لهم باع طويل وتمكن مكنين

## — الرياضيات

لا يتداول عندهم في الرياضيات إلا علم الحساب فقط، فمتن الأرجوزة السملالية التي أتمها أحمد بن سليمان الرسموكي، وشرحها أيضا بشروح ثلاثة الصغير والوسط والكبير، وفيها الجمع والطرح والضرب والقسمة، هذه صحيحة ومكسرة وطرق ذلك، وليس فيها الجبر ولا ما يماثله، وحسابها على النمط القديم، ولكن السوسيين يتقنونه إتقاناً عجيباً، حتى تحصل لهم فيه ملكة، بل فيهم نوايغ لا يجارون فيه وفي الفرائض، ومنهم الأستاذ محمد أثيك والأستاذ علي رحمهما الله، والأستاذ عبد الرحمن العوفي البعيلي حفظه الله، والأستاذ محمد بن مبارك التغيجتي، الذي كان يدرسه لنا وعلم الفرائض، إذ نحن في مدرسة (تانكرت) أعوام 1333 هـ إلى 36 وآخرون، والسملالية هذه تحفظ ولابد

## — البيان

«التلخيص» هو الكتاب المعروف عند الناس في هذا العلم، وهو مؤلف حسن سهل، وذلك العلم أيضا سهل، غير أنه يحتاج إلى ذوق سالم، ولا تكفي فيه المعرفة فقط، ويقرأ التلخيص بشرحه المعهود السعد، وليس هذا العلم بالمشهور كثيرا، إلا في بعض المدارس التي تتطلع إلى الآداب وتذوق معاني اللغة، كالمدرسة الالغية والأدوزية والبونعمانية والتنكرتية وأمثالها، وقد كان للشيخ الحسن بن أحمد بن محمد التمكّلجتي يد في هذه العلوم التي يصفونها



بالريقة، وقد حدثني قاضي (مراكش) مولاي أحمد البوسعيدى أن الحسن بن أحمد هذا كان مشتاقا إلى الرحلة إلى (فاس) ليأخذ هذه العلوم، لعدم رواجها بين يديه إذ ذاك، فكان أبوه الرجل الصالح يقول له مهلا عليك، فسترد (فاس) إليك هنا، فسأقت الأقدار سيدي إبراهيم الأثري، ممن أتقن هذه العلوم إلى (تمكّلت) للزيارة، فاستدعى السيد أحمد بن محمد ولده الحسن فقال له هذه طلبتك فاخذها هناك، ولم يعمل لاحقا ولا حافرا، ولا كان تراب الأرض بالقدم، فأخذ عنه التلخيص في جماعة، واقتروا عليه شرح الجواهر المكنون، فشرح منه بخمسة كراريس، ثم خطر شرح آخر، ففت ذلك في عضده، والاستعارات للشيخ ابن كيران فإنها معنى بها أشد العناية، حتى شرحها الأدوزي، ثم محمد بن المحفوظ، ونوى أن يحفل شرحه حافلا جامعا، ولكن الذي رأيته منه لم يكثر، ولا أدري أهذا الذي رأيته مبتور، أم أنه لم يتم من يد مؤلفه، ولابد أن تحفظ بين دارسيها

## — المنطق —

المنطق علم واسع جدا، غير أن السلم منظومة الأخضري قبست منه قبسة فاكتفى الناس بذلك، وهم أخوف الناس أن يصطدموا والسيوطي، الذي حرّمه من أصله مع طائفة من المحدثين كثيرة، ولا شك أن هذه النقطة التي خطفها الأخضري من ذلك البحر لا تحرم، ولكنها أيضا لا تسمن ولا تغني من جوع، ولولا أن ابن عرفة شبك بقواعد حدوده، ولولا أن كثير المؤلفين يعتمدون على أشكاله في تأليفهم، فيحتاج مطالعها ودارسها إلى معرفة الاصطلاح، لكان تطبيقه أصالة هو الأولى، ولكن رأي السيوطي أليق، حيث قال إن ما يحتاج إليه منه مركب في سليقة كل إنسان، حتى لا يحتاج إلى تعليمه، ولكننا الآن أمام الأمر الواقع، فلا بد منه إذن، ولذلك حافظ عليه السوسيون فيما حافظوا عليه من التراث، وهو ليس معروفا كثيرا إلا في بعض

مدارس تتعالى إلى مختلف العلوم، كالالغين والأدوزين والبونعمانيين والتانكرتين والجشتيمين، وقد كان للمحفوظ الأدوزي كثيرا ما يسبق به صباحا للاعتناء به

## — الأصول

المتون التي تدرس من هذا العلم متنان أولهما «جمع الجوامع»، وقد كان لمحمد بن مسعود البونعماني وللمحفوظ الأدوزي به اعتناء زائد، وتتبع العبادي والمقاني والباقي في تلك المشاكسات اللفظية، والمنازعات المذهبية والالتزامات الهوائية، فكان ابن مسعود لحدة ذهنه وذكائه يحكم إما لهذا أو لهذا، أو يستشكل هو بدوره ليزيد ذلك الطين بلة، فكان له شرح ملأ طوره بأنظار له دقيقة، كان المحفوظ بها معجبا، فكان يحضر ذلك الشرح المطرر فيتبعه، لكن الالغين لا يجولون في هذا العلم، وما علمت أنهم قرأوه قط، وأما الأستاذ الطاهر الافراني فإنه من محصلاته في الرحلة إلى (تارودانت)، فدرسه على شيخ الجماعة أحمد الجشتيمي سنة 1306 هـ، هو ورفيقه العربي بن محمد السمكني رحمه الله

هذا هو المتن الكبير المشهور، وهناك الورقات المنسوبة لأمام الحرمين كذلك تتداول، ولا يزال الأستاذ مسعود الوفاوي يدرسها إلى الآن، وأما في (إلغ) فكذلك لم أعلم قط أنها درست، ولعلها لم تكن من مأخوذات الأساتذة الالغين، ثم أخبرت أنها ربما درست، وكان العلامة سيدي عبد العزيز الأدوزي ممن يخوض هذا الفن، وكان مولعا بتنقيح القراني دراسة، وقد نسخ شرحه بيده

## — الهياة

كان للسوسيين في العلوم والرياضيات كلها من القرن العاشر فما وراءه، يد طولى، فعبد الرحمن البعقلي وأمثاله مشهورون بها وكذلك الرسموكي،

وللاشكرابين الأستاذ محمد أرفاك، والأساتذة أبناء عمه الحسن بن عبد الرحمن، وأخواه محمد وعثمان جولات فيها إلى الآن، يتعاطون ذلك عملاً، وأما سواهم اليوم فيما أعلم فلا يتعاطى إلا «المقنع»، وهي في ذلك بمنزلة الأصبع من الجسد، ولكنه هو الذي يتعاطى في المدارس، ولا يعرف غيره بشرح مؤلف المرغيتي، وتجد الذين قرأوه أتقنوه، فلم أقرأه أنا قط ولا عرفت، ولا تصورت في أي شيء يروج إلا توها وسماعاً، حتى أنني لما قلت إنه بعيد من الحياة فإنما قلت في ذلك غيري، ولسان حالي ينشد قول ابن سهل لمن يعارضني في عدم صحة ذلك الحكم

أقلد وحدي فليبرهن مقلدي      فما أضيع البرهان عند المقلد

## — اللغة والأدب

إن للمسوسيين عموماً، والالغيين والأدوزيين واليونعمانيين والافرائين والجشتيمين خصوصاً، عناية تامة باللغة والأدب، فيتقنون أولاً علم «الصرف والاشتقاق» وذلك مفتاح علم اللغة كما لا يخفى، بل ذلك نصفه أو أكثر، فتجد المقامات الحريية وبانت سعاد ولامية العجم والدريدية والدالية لليوسي والمعلقات السبع والشرطيسية والبردة والهمزية، لا تقرأ إلا لتعلم ألفاظ اللغة أولاً، ثم للأدب ثانياً ثم للأمداح النبوية في هذه الثلاثة الأخيرة ثالثاً. ويعنون عناية تامة بحفظ المقامات كلها أو بعضها، كما يعنون بحفظ البردة والهمزية ولامية العجم والدالية ويواخذ التلميذ باستحضار الألفاظ الغريبة منها، كما يواخذ بمعرفة قاعدة القاموس والمصباح والمختار، وكيفية اكتشاف أية لفظة يريدونها، ثم هذا أمر عام في (سوس)، وازداد المذكورون خاصة بأنهم يتخذون هذه المتون اللغوية سلماً أيضاً إلى الأدب، فترى أثر ذلك في أسلات أقلامهم، وحواشي محاوراتهم ومناظراتهم متى ضمهم محفل من المحافل، وقد اعتنت بهم مطايا الأحاديث، ويرون ذلك مما يتم به إدراك التلميذ، وقد كان

أستاذي الافراني أنشدني في هذا المقام لبعض الصحراويين  
أول واجب على من كلفا ممكنا من نظر حفظ قفا

(يعني قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل، قصيدة امرئ القيس)،  
فيكون تفهم اللغة واستحضار ألفاظها، وتذوق الأدب يتمشيان جنبا لجنب،  
والطلبة يقرضون الشعر عند كل مناسبة، ويتراسلون فيما بينهم مراسلات لها  
مكانتها في الأدب، فترى الأمثال النثرية والشعرية ترد على ألسنة الأقلام من غير  
تعمل، وتسمع الأبيات النادرة المسطرقة، تجري على الألسنة بين الجالسين عند  
كل مناسبة، ويمتاز البونعمانيون أيام ابن مسعود بقراءة المقامات البديعية زيادة  
على ما ذكر لي، والأدوزيون بدراسة ديوان المتنبي تبعا، كما تدرس الألفية وقلائد  
العقيان بشرح ابن زاكور، أيام المحفوظ بن عبد الرحمن، والالغيون والافرانيون لا  
يدرسون هذا في ندوة الدراسة العامة، ولكن الطلبة يتدارسونها بينهم، ويزيدون  
ديوان سقط الزند للمعري، ونفح الطيب، فهم قيمون عليه، ولا يخفى على  
أمثال أحمد بن محمد اليزيدي وعبد الرحمن البوزكارني، والمدني ومحمد ابنا  
الطاهر، والأستاذ علي بن عبد الله، ومحمد الحامدي ومحمد التلي، والأستاذ  
داود الرسموكي، والأستاذ الحسن الجسالي وعبد الله بن الطاهر، وأحمد  
التجرموني ومحمد بن أحمد المنوزي، ومحمد بن مبارك البوعمراني، أي أديب  
أندلسي ذكر فيه فهم، يعرفون ابن الخطيب وابن زمرك وابن جزى وابن خميس  
وابن خفاجة وابن خاقان وابن بسام والرصافي، كما يعرفون أبناءهم ويستحضرون  
القصائد الطنانة، كما يستحضرون تحية الصلاة، فما منهم إلا من درسه مرات،  
وأما مولاي عبد الرحمن البوزكارني، فإنه دليل خيراته كاد يحفظه كله كما يحفظ  
الدليليون في (مراكش) دليل الخيرات

هذا عن التلاميذ المذكورين الذين نبغوا في الأدب أخيرا، وأما أساتذتهم  
علي بن عبد الله والطاهر بن محمد وولده محمد والبشير بن المدني، وأحمد بن  
صالح الافراني ومحمد ابن الحاج وبلقاسم التجرموني وعبد الله بن محمد الالغي،

فإنهم في ذلك كله الأدلاء الخريتون، وهم الذين مهدوا الطريق ونحوا عنها  
الأشواك، ورصفوها وعبدوها لتلاميذهم هؤلاء، وهم الذين سيعرفهم التاريخ في  
المستقبل، أو كان هذا القصر الممرد من أدب هذا القرن في القطر السوسي،  
والتاريخ إن أنصت لما يقول فإنه لا يمين ولا يأل من قدر أي عامل حبة سمسم،  
ثم إنهم مع ذلك قيمون على بعض التواريخ المؤسسة على الأدب كتاريخ ابن  
خلكان، فإنهم مولعون بمدارسته بينهم في المجالس الخاصة. وكذلك كل ما  
امتدت إليه أيديهم فوصلته من كتب الأدب وما إليها، فإنهم يهشون إليها  
هشاشة المقرور الخصر للنار المشبوبة، فتجدهم حين برز تاريخ الوسيط في  
أخبار شنجيط يحومون حوله، حتى اقتطفوا أزهاره، وبالجملة فلهم همة طماحة  
إلى الأدب من أي جهة أطل

وأما التمتكلتيون فلا أخال إلا أن التصوف الذي ظلل على أستاذيها  
أحمد بن محمد والحسن من بعده، قد حال دون هذا العلم، وجدير بكل من  
يتصوف أن ينفض يديه منه إن كان أتاه ذلك، قبل أن يتمكن منه تمكنا  
يصرفه كيف شاء، وذلك ما وقع للأستاذ محمد بن مسعود فإنه وإن أقبل عليه  
إقبالا كلياً قبل أن يتصوف، فإنه لم يبلغ منه الرتبة التي يستقر من نالها، بحيث  
لا يتزعزع بعد يميناً أو شمالاً، فما تصوف حتى نفض منه يده، ونبذه ملاحس  
البقر أولادها

والفضل كل الفضل يرجع في تأسيس هذه الحركة الأدبية بـ (إلغ) إلى  
شيخ الجماعة الالغية، ومؤسس المدرسة محمد بن عبد الله الذي كان يقرض  
قرضاً، هو إلى شعر الفقهاء أقرب منه إلى شعر الأدباء، ولكنه مع ذلك مولع  
به عند كل مناسبة، فتأثر تلاميذه خطاه، فنبغ منهم الطاهر بن محمد الأفراني  
شاعر (سوس الأقصى) على الإطلاق، بل شاعر (المغرب) قاطبة بين أهل  
طبقة، كما حكم بذلك الشريف ابن زيدان، حكماً يشهد به من رأى منازعه  
في شعره وتصوفه، ثم يقرنه مع البلغيثي والقاضي عباس بن إبراهيم ومن مر

معهما في قرن. فإن من قايـس هذه المقايـسة ووزن بالقسطاط لا يلبث أن يدعم حكم ابن زيدان، ويأتي بما لا يمكن استينافه بعد، وسترى هذا فيما يرد عليك، فكن مع الحق حيثما دار، ولا تشطط، والله يهدينا جميعا إلى سواء الصراط

## — العـروض —

المتن المشهور في هذا العلم هو «رمزية الخزرجية» وبها يدرس هذا العلم في جميع مدارس (سوس) التي تميل إلى الأدب، وربما درست كذلك في مدرستي إلغ وإفران، وإن كان المشهور الذائع «متن الحمدونية» تأليف الأستاذ حمدون ابن الحاج، وقد ألفها باسم مولاي سليمان، حين كان يعلمه بسجلماسة كما أظن، والحمدونية هي قطب هذا العلم عندنا، ولكن هناك حقيقة لا بد من تبينها، أقرأ كثيرا قصائد بعض السوسيين فيؤتى لي أنهم لا يتقنون هذا العلم كما يتقنون غيره من العلوم، وكان بعضهم اغتر بالقول المأثور (الشعر بالسجية لا بالخزرجية)، وفهم منه أنه لا يحتاج الشاعر إلى هذا العلم، بل يتكل على سجيته، وليس ذلك هو المقصود، بل المقصود بهذا القول أن الانسان مع اتقانه لعلم العروض لا يصير ذلك شاعرا، ما لم تكن له سجية فياضة، وهذا حق، فلعل ذلك البعض يراجع نفسه، ويتثبت في الأوزان، فكما أن الشعر وإن كان معناه جيدا فاضت به السجية، لا يكون قريضا حتى يوزن بميزان الخليل بن أحمد، كذلك الموزون وحده بلا أثر سجية لا يحمل إسم القريض المقبول:

إذا أنت لم تعرف سوى الوزن وحده      فقل أنا وزان وما أنا شاعر

## — التفسير —

دخلت مرة سنة 1332 هـ إلى مدرسة (المعذر) أجول فيها، فإذا

بأستاذها أحمد العيني يدرس التفسير للطلبة، فمررت وأنا أظن أن ذلك أمر عادي، وأن تلك الدراسة مثلها مثل الدراسة في الأجرومية والمرشد، ثم لها حططت ركابي بـ (مراكش) و(فاس) صرت أسمع أن قراءة التفسير ما أحيائها إلا الأستاذ الكبير أبو شعيب الدكالي، فتذكرت ما كنت رأيت في (المعذر)، فقلت إذن عندنا في (سوس) أشياء تدرس، وهي غير محظورة كما حضرت في الحواضر وما إليها، ثم صرت أسأل فأجد أن الأدوزيين وغيرهم يدرسون التفسير فينة بعد فينة، وربما اتخذوا لذلك دروسا خاصة في كل يوم من رمضان، فيدرسون ثمنا في كل مجلس

هكذا وجدت دراسة التفسير شائعة، وكل من أقول له أليس هذا بغريب ؟ فيقول أية غرابة فيه، وذلك كله علم متوارث، فقد وجدنا أشياخنا من السوسيين الذين أخذنا عنهم، يدرسون التفسير كما يدرسون الألفية، ثم إن ذكرت له الاسفاف الذي وقعت فيه الحواضر وما إليها، يحصل له بدوره عجب عجاب، ثم إذا زدت له أن الحضرة أحيط بسياج من خوف موت السلطان، لا يلبث أن يغلبه الضحك حتى تبدو نواجذه، فيكون هذا الضحك وفيه ما فيه آخر هذه المحاورة.

غير أن التفسير وإن كان يدرس في غالب مدارس (سوس) أو نحو نصفها على الأقل، فإن الأساتذة الالغيين لا يأبهون بدراسته دراسة عامة، وإن كانوا في محافلهم ومجتمعاتهم الخاصة يتدارسون، ولا أدري لأي شيء شذوا في هذه القضية عن غيرهم، مع أن لهم سبقا إلى كل خصل، وتراميا إلى كل غاية، وتعاليا إلى كل سماء، ولكنهم مع ذلك يكثر من مطالعة التفاسير، فهذا الأستاذ بلقاسم التجرمونتي يولع بمطالعة روح البيان وروح المعاني وهما ما هما، وهذا أستاذنا الطاهر بن محمد قد جرت بيني وبينه مذاكرات حول آيات حين زارنا بـ (مراكش) في شعبان 1254 هـ، فأفاض علي مما يتعلق بتلك الآيات، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان طالع من التفاسير كثيرا، وما مثله من يفرط في هذه

الناحية وهو ما هو، أطال الله عمره وأعلى شأنه، ويتفسير الجلالين يدرس القرآن من يدرسه ممن ذكرنا.

## — الحديث —

حقا قوضت خيام هذا العلم، وعريت أفراسه ورواحله منذ القرن الحادي، فلا محاولات الشيخ مرتضى أحيته، ولا تلاميذ إدريس العراقي، ولا مؤلفات ابن الزرقاني ولا النفحات اليمنية التي تهب من تأليف الأمير الصنعاني والامام الشوكاني، ولا جهود رضوان الجيدي وأصحابه الفاسيين قدروا أن ينفخوا فيه الروح، فقد أجمع الناس على أنه طحن وغربل وأكل، ولا يبقى بعد المأكّل إلا أن تطحنه المعد، فيدخل في خبر كان، ويسيل به «بُوخرازب» — كما يعبر بعض أשיاخنا المفكرين — ولم يبق منه عند الناس إلا تبركات يأترونها فيما بينهم، ومسروقات في رمضانات السنوات صارت عادة متبعة، وينسبونها للامام ابن غازي، فإن نبغ بعض من يتطلع إليه فلا يعدو أن يحوم حول كتاب خاص من كتبه، لا يعدوه، ثم أنه يبحث فيه كما يبحث في كتب الأجاهرة حول المختصر، فلا يقدر أن يخوض العباب سنبحا، ولا يعطى القوة التي يتأهبها عن القبول والرد، أو يكون له بها اطلاع واسع، فدام ذلك في الشرق كله والمغرب الأقصى من الشرق الاسلامي في هذا المقام، ثم انبعث مبشرات أخيرا كان أستاذنا الشيخ أبو شعيب، والأستاذان الكتانيان محمد بن جعفر ومحمد بن عبد الكبير ممن برزوا حول ذلك بروزا جديدا، اقتبسوا بعض بذوره من (مصر)، التي صارت تسترجع حياة هذا العلم شيئا فشيئا، هذا ما وصلت طلائعه إلى (الحمراء)، وأما (سوس) فإنه لا يزال عند التبرك بحديث البخاري في الرمضانات، ويسرد سرد دليل الخيرات وربما يوقف عند بعض أحاديث، فينظر ما قال فيه القسطلاني، ثم يستمر الساردون من جديد، ثم عند الختم تقام حفلة صغيرة في المدرسة، وربما تقام في بعض المدارس حفلات متسعة،



يستدعى لها الناس الجفلى، وأثر ذلك بين في المواسم التي تضاف إلى البخاري في أحواز (مراكش)، فبخاري سيدي أحمد أوعلي ب (مزوضة)، وبخاري بوغنفر، وبخاري سيدي أبي عثمان أشهر من أن توصف، وما كان الناس يجتمعون فيها أصالة، إلا لحضور الختمات المسرودة من البخاري، ثم اتسع ذلك حتى صار موضعا للبيع والشراء، وبقي كل موسم منها يحمل إسم البخاري، كما وقع للعبيد الذين عاهدتهم مولاي إسماعيل على نسخة «البخاري» أن يتعاونوا معه على حفظ الأمن ب (المغرب)، وعلى مناصرته على كل من ناوأه، فأضيفوا إلى البخاري هم وكل من جاء بعدهم من عبيد الحكومة إلى زمن الاحتلال.

إذن قاعدة البخاري في مدارس (سوس) إنما هي السرد فقط، مع تفسير قليل لبعض أحاديث بعد مراجعة القسطلاني، إلا أن الأستاذين علي بن عبد الله الالغي وبلقاسم التجرمونتي، لم يسلكا في البخاري في الرمضانات هذا المسلك، ولا يسردان فقط، بل يتبعان الأحاديث دراسة كما يدرس المختصر، فلا يتانه إلا في سنوات كثيرة، هكذا حكى لي تلاميذهما، وأظن أن الذي يسهل ذلك على الالغيين معرفتهم السيرة النبوية معرفة تامة، لأنهم يتدارسونها بينهم ومطالعتهم للاصابة ولا شك أن مفتاح الحديث لمن أراد أن يخوضه إنما هو اتقان السير ومزاولة رجال الصحابة في معاجمها.

هذا، وليس في (سوس) لكتب الحديث الأخرى ذكر في الدراسة، لا سردا ولا مطالعة، إلا ما كان من الشفاء والجامع الصغير وصحيح مسلم فإنها قد تروى، وربما يدرس بعض الأساتذة الشفاء، وأما الثاني والثالث فإنما يراجعان فقط، والأحاديث الضعيفة والموضوعة تروج كثيرا في سوس، كما لا تزال تروج إلى الآن في جميع العالم الاسلامي، إلا عند بعض أفراد قليلين من المنتهين لضررها، فيثبتون ويراجعون كل حديث على حدة، كأستاذينا الحافظ الحجة مولاي المدني، والقاضي ذي الفكر الثاقب السائح الرباطيين، وشيخ الاسلام

أبي شعيب الدكالي منبع نقطة صغيرة صارت إلينا من هذا العلم، والناقب البحاثة أبي الاسعاد، وبعض أفراد تصلنا أخبارهم من (مصر)، كالأستاذ سيف الاسلام صاحب المنار المرحوم، وأحمد شاكِر، والطهطاوي، ولكن الحقيقة أن هذا العلم لم يحي بعد إلى الآن، ولكن طلائع حياته وتباشر فجره مما ينتظر عن قريب.

وبعد، فهذه هي العلوم التي لها رواج في القطر السوسي(1)، وتدرس في المدرسة (الالغية)، وقد تبعتها وبيننا المتون التي بها تدرس، ونقول الآن ان علم التاريخ ميت عندهم لا يوبه به، ويستهزأ ممن يتناول إليه، ولا يزالون يعتقدون أنه علم لا ينفع، وجهل لا يضر، ولذلك تجدهم لا يعتنون بما يمر بين ظهرانيهم من علماء أعلام، وصلحاء يستسقى بهم، فقلما تجد من يقيد زمن وفاة عالم، وإن كان من قريته، فطمست بذلك أخبار طلية، وحوادث جليلة، وفوائد نفيسة، ومباحث غريبة، بل ومؤلفات قيمة، وآداب وقصائد ورسائل هي غرر للأدب وحجوله، فذهبت جهود الآباء في عدم اهتبال الأبناء، فهؤلاء الجشتيميون والحاج ياسين، والأدوزيون والحاج الحسين الافراني ومحمد بن إبراهيم التمارتي، ومحمد بن عبد الله وأخوه سعيد الأساكين، وعلماء (ثلاث أوكتار) والحسين بن الطيفور، والعلماء الصوابيون والحامديون والأسفركيسيون والتمليون والتمكلاجتيون والأوكليون والتمنارتيون، وهؤلاء كلهم ذهبت آثارهم، وانمحت أخبارهم، كأن لم يحملوا قلما ولم يحرروا رسالة، ولم ينشئوا قصيدة، ولم ينشئوا مقالا، ولم يجمعوا مؤلفا، فهم أبناء أمس والعهد بهم قريب. ولكن التفريط وصل بالسوسيين هذا المقام، وقد ما ندّد عليهم بذلك صاحب «الفوائد الجمة» الذي خلف لنا في فهرسه هذا أخبارا كادت تضيع لولاه، وقد كان الحضيكي أراد أن يؤدي في ذلك الفرض الواجب ولكنه لم يستوف مع أنه

---

(1) معلوم بأن المؤلف رحمه الله قد تطرق إلى ذكر العلوم التي يعنى به السوسيون في كتابه الموسوم سوس العالة المطبوع طبعة ثانية غير أن ما هنا يكمل ويتمم ما هناك خاصة بعض الإضافات التي يحتاجها القارئ المحقق. (الناشر)

تيسر له أن يقوم بأكثر مما قام به، مع عدم اعتناؤه بالوفيات ولو تقريبا، وكتابه بكتب الأدلة لئين يدي السواح أشبه منه إلى كتب التاريخ فيما يتعلق بكثير من رجال (سوس)، لا من غيرهم الذي قد يوفى، ولكنه مع ذلك أفادنا ما كنا نجهله لولاه وقد كفى، وأما «بشارة الزائرين» للكرامي، وكتاب «المناقب» للبعقلي، و«الوفيات» للرسموكي، فإنما هي تطيها أسماء فقط، من غير أن يتعرض فيها لأحوال المترجمين، وقلم الجشتيمي صالح للتاريخ، ولكنه في كتابه «أصحاب الحضيكي» لم يتوسع كثيرا (1)، وما راء كمن سمع.

هذا كل ما عندنا في (سوس) من التواريخ العامة، زيادة قليلة على بعض فهارس، وهي تدل دلالة واضحة على ما قال القاضي التمارتي في السوسيين، على أننا نحن الآن جئنا بدورنا، فليت شعري هل يقدر لنا أن نقوم بهذا العبء خير قيام ؟ أم يكون المتأخر كالمقدم، فاللهم يسر ولا تعسر

## 5 - كيفية الدراسة العلمية

يسود على الدراسة في مدارس (سوس) النظام والتدرج، من الأصغر إلى الأوسط إلى الأكبر، فتكون في ذلك مراتب تقارب الطبقات والصفوف التي تكون في المدارس الحديثة، وإليك البيان

ذكرنا فيما تقدم أن الذي يدير المدرسة وتمشى تحت نظره الوحيد، هو أستاذها الذي يشترط فيها عن إذن القبيلة، فهو الذي يقبل من شاء من الطلبة ويصرف من شاء، ويطلق عليه (الفقيه)، كما يطلق على إمام مسجد من مساجد القرى (الطالب)، كما ذكر ذلك في مبحث القرآن، فأول ما يأتي تلميذ مبتدئ فإنه يفتح له بيده في لوحته ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ويكتب ﴿الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم﴾، ثم يكتب له ﴿الكلام

(1) كل هذه الكتب الأربعة الأخيرة زيادة على كتاب «اليعقوبيون» للأودزي، و«روضة الأفنان» للاكراري، و«تحلية الطروس» لعلي بن الحبيب السجرائي، وكتب أخرى قد قام مؤلف هذا الكتاب بتحقيقها ونشرها للطبع لأنها كانت معتمده في كتابه الكبير «المعسول»، ولهذا السبب صدرها قريبا تباعا تحت اسم «سلسلة مصادر المعسول» وللتوسع في محتويات هذه الكتب يرجع إلى كتاب «سوس العامة» في مبحث مراجع التاريخ السوسي. (الناشر).

هو اللفظ المركب المفيد بالوضع، ثم يقرره له بيده أو يأمر من يعينه من كبار التلاميذ أن يقررها له، والمقصود هنا بالتقرير ما يطلق عليه في الحواضر (التشقيق)، لأننا نطلق عليه في هذه البلاد (التقرير)، ثم ان هناك من يتبدى مثله تمثيلاً معه، وإلا فيقرأ درسه وحده، عند الأستاذ أو عند أحد معينيه، وهكذا فيقرأ الأجرومية وحدها في اللوحة، ويحفظ جميع الحقائق، وهي أطول من ليالي الشتاء، ويملاً ذاكرته بأبيات مختلفة تنفعه في المستقبل لأنه كان لا يفهمها الآن، فإذا أتم الأجرومية بعد ثلاثة أشهر أو أربعة يعيدها ثانياً ولا بد، ولكن هذه المرة يقرأ معها الجمل، فإن أتمها ينتقل إلى الزواوي، وقد أتم الأجرومية المرة الثانية، وفي كل ذلك يلزم بعرض كل ما كتب في لوحته، كما كان أيام قراءته للقرآن، وكثيراً ما يسلك فقهاء المدارس مع هؤلاء المبتدئين إن كانوا لا يزالون لم يتجاوزوا ذلك المسلك العنيف الذي مر لنا تحت عنوان (تأديب المعلم) في مبحث القرآن، ثم ينتقل إلى المبنيات واللامية فيحررهما أيضاً، وكل ذلك بتفهم ومعاركة، وكثرة امتحان في الاعراب والاستشهاد على كل شاذة وفاذة، بما درسه من الأجرومية والجمل والزواوي والمبنيات واللامية

هكذا تمضي السنة الأولى غالباً، وهو غير مشغول إلا بهذه المبادئ العربية فقط، بهذا التدرج الذي ذكرناه، وبالكتب في اللوحة، ولا يتناول شرحاً لهذه المؤلفات إلا بقصد التمرن على قراءة حروف المطبعة واللامية لا تكفي فيها المرة الواحدة، بل تعاد حتى ترسخ بكل تلك التفاصيل والشواذ التي في بحرها الكبير، وهي كلها منظومة في شرح لبعض السوسيين كتبه على اللامية، فعندئذ فقط ينتقل إلى مبادئ الفقه فيفتح المرشد، والحالة هي تلك المتقدمة يعرض كل شيء على الأستاذ، ثم إذا أتمه وقد حصله أو يعيده حتى يحصله، جاءت نوبة الألفية والرسالة وهو الطور الثاني، وقد كان قبل عند افتتاحه الأجرومية يكتب دائماً ما تيسر في الألفية فلا يأتي هذا الحين الذي وصلناه الآن حتى يتمها حفظاً، وعيب كبير في المدرسة (الالغية) إن كان الانسان افتتح الألفية شرحاً ما لم يحفظها قبل، ويعد ذلك ممن فعله على أنه لم تشرق

بدايته فكيف تشرق نهايته، ثم تفتتح الألفية في اللوحة، والشرح الذي يعتمد عليه المبتدئون البهجة للسيوطي والمكودي، فيحفظون كل شواهدهما، مع تمرنهم على التلاوة في المكودي مناوبة، اليوم عند هذا والغد عند الآخر، هذا للمبتدئين فقط، وأما الشادون الذين كانوا قرأوا الألفية مرة قبل هذه، فإنهم يسردون الموضح، وقد جرت العادة أن تلك المتون الصغار المتقدمة يتمشى فيها المبتدئون وحدهم، ومن كان شاديا لا يدخل معهم لئلا يشوش عليهم أولا، ولكي يألخوا الاعتماد على أنفسهم ثانيا، لأنهم يجعل لهم الأستاذ وقتا يعيدون فيه بالمناوبة أنصبتهم ولابد، فتجد من عنده النوبة يسأل هذا وذاك عن كل مسألة، أو يستدعي أحد النجباء فيكررها له حتى يعرفها حق الفهم، هذا كله في تلك المتون الصغار، وأما الألفية والرسالة فلا بأس أن يمتزجوا مع غيرهم، غير أن الشادين مع ذلك لهم نظام، وهؤلاء يسيرون بنظام آخر، لأن أولئك يتناوبون على مطالعة نصاب الألفية إما بعد العصر أو بين العشاءين، فيأتي من عنده النوبة، فيلقي ذلك الدرس الذي سيقراه الأستاذ غدا، بما أوصلته إليه مداركه، وقرناؤه مستديرون به ويجاذبونه الأبحاث ويثيرون الاشكالات، وقد تمهيا لكل ذلك لقتله الدرس معرفة وخبرا، خوف أن يتخذ ضحكة، فتقرب كل الشواهد، ويبين الشاهد فيها والقائل يأتي بالمسألة النحوية، ويذكر ما فيها أيضا، ويقرر بهجة السيوطي والموضح ثم يسردان، هذا كله يقع عند المطالعة بين الطلبة الشادين وأولئك المبتدئون حاضرون، وفي الغد يقرأ الأستاذ الدرس، والبهجة بيده وحذاءه الشراح المتيسرة، فيتبع البيت بعد أن يقرره للطلبة، ثم كلما تمت مسألة يسرد أحد المبتدئين المكودي، ويسرد أحد الشادين الموضح بالمناوبة، ثم ينتقلون إلى مسألة أخرى هكذا حتى يتم الدرس، وعن يمين الأستاذ تلميذ يسمى (القارئ)، وهو الذي يفتتح للأستاذ إن قال زد يا سيدي، فيعلن له برأس النصاب، ومن المعتاد أيضا أن يتغنى بما يقرأ من الألفية بغنة خاصة قبل أن يفتتح الدرس، فبمجرد ما يدخل التلاميذ ويجلسون يتبدىء

## الأستاذ بهذه الأبيات

أعوذ بالله من الشيطان ذاك الرجيم عدو الانسان  
أول ما نقول بسم الله وخير ما نذكر حمدا لله  
محمد بشر لا كالبشر بل هو كالياقوت بين الحجر

ثم ترجز معه الأبيات التي كان الطلبة طالعوها، ثم يقول الأستاذ بعد السكوت زد يا سيدي فيعلن له القارئ براس النصاب فيقرره كما ذكرنا، ثم إن انتهى الأستاذ إلى المحل الذي وصلته مطالعة الطلبة قبل، يقول له القارئ ﴿وصلى الله﴾ بهذا اللفظ، وذلك دليل على انتهاء ما طوع، فيدعو الأستاذ فيخرج الطلبة، وهكذا يرجز كل منظوم مما كان رجزا يفتح بتلك الأبيات المتقدمة، وما كان طويلا كالجمل يفتح بهذه الأبيات

له هم لا منتهى لكبارها — وهمته الصغرى أجل من الدهر  
له راحة لو أن معشار جودها — على البر كان البر أندى من البحر  
عليه صلاة الله ثم سلامه — وآل له مع صحبه السادة الغر

وما كان بسيطا مثل اللامية فإنه يفتح بهذا (محمد بشر وليس كالبشر)

وكان اعراب البيت يؤخر حتى يتم تقرير النصاب، على عكس أهل الحواضر، كما أن الطلبة هم الذين يتبعون الاعراب بثبت، والأستاذ ينطق لهم بالكلمة التي يراد إعرابها، لا أن الأستاذ هو الذي يعرب، والطلبة إليه شاخصون، كما يقع غالبا في مجالس المدن التي شاهدناها، ثم من العادات المستمرة أن يخصص الصباح أولا للمختصر فيفتح القارئ، فيمشي الفقيه يتلو الدرس إلى نهايته، التي يقول له فيها القارئ ﴿وصلى الله﴾، ثم يرجع فيقرر للتلاميذ في ألواحهم، ثم يتتبع الصور صورة صورة، وفي كل صورة قررها يسرد عليها الدردير ويراجع الدسوقي، ثم إن حصل لإشكال يراجع الزرقاني والخرشي وحواشيها وهكذا حتى يتم الدرس، وقد كان الطلبة طالعوا أيضا

المختصر على الكيفية التي قدمناها في الألفية، والغالب أن يكون ذلك بين العشاءين، وهو الذي جرت به عادة مدرسة (إلخ) وما إليها، ثم بعد أن يتم درس المختصر تقرأ الرسالة ثم التحفة ثم المقامات. والغالب أن تقرأ الألفية قبل العصر، وربما يكون درس آخر كالزقافية أو التلخيص قبل الأصيل إن لم تكن صباحاً، أو درس من دروس المبتدئين، والدراسة العامة كلها لا تكون إلا في اللوحات، ويحفظ ما يكتب فيها إن كان لابد من حفظه، أو يقرأ ما شاء الله حتى يرسخ معناه إن كان مما لا يعتنى بحفظه، ولا يترك اللوحات إلا من تفوق وقرأ الألفية ثلاث مرات فأكثر، والمختصر أيضاً كذلك، فحينئذ يرخص له في الاختصار على الكتب، وأما من سواه فلا، ثم لابد من كتب كل الشواهد والقيود والتقارير المفيدة وأبيات القواعد، ومجمع النظائر في هذه الألواح لتحفظ، وهم حقاً من يصدق عليهم في كل ما درسوه مثل هذه الدراسة، قول الشافعي

علمي معي حيثما يمت يتبعني      صدري وعاء له لا بطن صندوق  
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي      أوكنت في السوق كان العلم في السوق

فلهذا التمكن ولهذا النظام العجيب وهذه المعركة، تجدد السوسيين في كل ما درسوه أرسخ الناس، فلا يحتاج من قرأ مثل هذه القراءة أن يطالع ما سيقره للتلاميذ، ولا أن يراجع إن كان أستاذاً، لأن كل ذلك كأصابع يده، ومن شك في هذا فعليه بأعمال الرحلة لي شاهد بعينه، وما بعد العيان من بيان، وناهيك بمن يعملون كل ما تقدم من المعركة والحفظ حول الدرس، ثم يعيدونه أيضاً من بينهم إعادة تقرير واستجلاء واستظهار، حتى إن المبتدئين يؤخذون دائماً بالتوطئة، وهي عبارة عن إعادة كل ما حفظ في الدروس المتقدمة، من التقارير والشواهد وأبيات القواعد، وإعادة معنى البيت، فتجد جماعة المبتدئين يعيدون مثلاً من أول الألفية إلى (النائب على الفاعل) في ظرف ثلاث ساعات أو أربع، من غير أن ينخرم لهم شاهد، أو يشذ عنهم بيتاً أو

معنى، لكثرة ما يكررون ذلك كل ليلة، ثم إذا أطال عليهم ذلك، يتركون من أوله أبوابا بالتدرج بقدر ما يزدادون آخرا، فلا يصلون باب (فعل التفضيل)، حتى يذروا ما قبل (النائب على الفاعل)، وهكذا حتى تتم الألفية؛ ولكن هذا الحزم العجيب قلما يوجد إلا في المدرسة (الالغية) و(الافرائية)، وقلما يتتبع أيضا من العلوم بمثل ذلك، إلا العربية والفرائض والحساب، وقل أن يكون لهم في المختصر مثل هذا الحزم، وأظنهم لو كانوا يعتنون أيضا بالفقه هذا الاعتناء العجيب، لأخرجوا لنا من ييذون المسناوي، وإضرابه في الاستحضار، وأحال أن هذا الاعتناء يعيى المبتدئ والشادي، ويضجره بعبئه الثقيل، ثم إذا ملك أمر نفسه أطلق نفسه على شجيتها، وأرسل فهمه على عواهنه، ولكن مع كل هذا لا أزال أراهم حتى في الفقه ذوي جد، وحسبك أنهم يطالعونه أولا مناوبه، وصاحب النوبة لابد أن يلقي عرق القرية قبل أن يستعد، ثم يكتبونه في اللوحات ويقررونه، ويقرأون ما كتبوا ما شاء الله، ثم يعيدون ذلك أيضا مرات أخرى، فهذا كله قل من يقوم به من أهل المدن، وهذه المطالعة بين الأقران وتلك الاعادة بينهم مما يشحذ الذهن، ويستجمع الفكر ويمرن الطالب للأستاذية، فلا ينتصب في إحدى المدارس حتى يعركه الدهر بأقرانه، عرك الرحي لثفالها، حتى يدركوه، وأما أن يرجئوا ذلك إلى وقت تدريس الأستاذ، وإن حضر بينهم بعض من فيه هوج وطيش، فربما تقوم مضاربة فتثور الكراريس، ويصطدم القنديل التي يستحضره صاحب النوبة، وتدور ملاكمة ومصارعة في الظلام قلما تحمد عقباها، ولهم في ذلك غرائب مأثورة، وقد يتمارض صاحب النوبة خوفا من أقرانه، حيث يكون باعه قصيرا، لأن كل من قرأ الألفية والمختصر مرة مرة، لا يمكن أن يسامح في هذه المطالعة ولابد أن ينخرط في نوبتها مرغما، ويحكون عن الأستاذ العربي بن محمد السمكني رحمه الله، أنه كانت عنده مرة نوبة المطالعة فكأنه راجع الدرس فأكدى فيه، ولم يتبين من ظلمته أي قبس فتمارض، فذهب إليه الطلبة، وقد أدرك بعض الداعرين منهم ما وقع فيه، فاقترحوا عليه أن يكبوه، فمالوا عليه بالكى حتى



شؤوا كل أجنبي، ثم قالوا له إننا أوقفنا النوبة حتى تبرا، فهذا ما جره إليه تمارضه، ثم لم ينفعه ذلك شيئا، ويحكى البونعمانيون أيضا عن بعضهم كانت فيه نوبة الألفية ومبتدأ النصاب (وصفة صريحة صلة آل) فقررها لهم على ظاهرها مطالعة، فقال لهم: أظهرت الصورة، فقال بعضهم: نعم قد ظهرت، فقال لهم لعن الله من ظهرت له، إلى غير ذلك من حكايات مأثورة، وإنما قصدنا أن هذه المعركة خير مسن للنجيب، ثم إن الالغين فيهم عادة أخرى محمودة لا يمكن أن يلقي المبتدئ أو الشادي من كان فوقه علما إن ألقى عليه مسألة، إما أن يجيب عنها وإما أن يستفيدها، وقد يقع ذلك في المجالس الحافلة بالطلبة وبغيرهم، فقد استحضرت أن أستاذي عبد الله بن محمد ذهب إليه مرة بوضوء عند الظهر، وكانت عندي نوبة تسخين الماء للطلبة، وقد كان مَطْرٌ يرش، فقال لي هل كان من مطر؟ فقلت له نعم، ثم قال لي أعرب هذه الجملة، فوقعنا في أودية أخرى، فجاء بحث من في أي محل تزيد؟ هناك من قال إنها تزيد في المثبت، فخرجت بفوائد لم أكن لأخرج بها في الدرس، واستحضر مرة أخرى أنه كان عندنا في الدار ليلة ممطرة، مع أحمد بن الحاج إبراهيم الغشائي و(الميزاب) يثر بماء السطح، فجرى ذكر الميزاب فسألني أهو عربي؟ وبعد أن ذكر أنه عربي، سألني أمشتق أو جامد؟ وبعد أن عرفنا أنه مشتق، وجاء الاستفسار أيضا أي مشتق هو، وبعد أن عرفنا أنه آلة، جاء سؤال آخر ما أصل الكلمة، وما مضارعها، وما أمرها، وما إسم فاعلها، وما إسم مفعولها، وما مصدرها، وفي كل جواب لابد من بحث عن دليل إما في اللامية وإما في الألفية أو منهما معا، فلم أتملص منه حتى كادت نفسي تذوب، وجازاه الله خيرا، وهذه العادة في الالغين هي التي تذر تلاميذهم سيوفا مرهقة براقعة، ويعاين مضمرة طفارة، لا يهابون أحدا ولا يسلمون إلا للفريد الذي لا يعلى عليه

ذلك هو علم (سوس) التي ورثه عن القرون الماضية، وتلك معاهده التي أسست في سبيل به، وتلك كيفية تدريسه، وذلك كله اليوم يتقاصر ظله ويذوى نبتة ويغيض منبعه، وشمسه توذن بأنها على أطراف النخيل، وقد عريت أفراس الهمم ورواحلها، حتى ليؤنئ للمتأمل الذي يعرف كيف يستنتج من المقدمات أن الحالة العلمية آتلة لا قدر الله إلى الاضمحلال، إن لم تؤيد بنفحة أخرى جديدة، وبرجال آخرين جدد، يعلمون ما يتطلبه كل زمان، وما ينتعش به كل جيل، ولكن أين تلك النفحة وأين هؤلاء الرجال ؟

## الباب الثالث :

### مبحث الديانة



كانت البداوة هي الأصل الأصيل في الدين الاسلامي، وبين ظهرانيها نشأ، وفي حدها البهيج يفع، حتى كان جلدا قويا يقدر أن يصرع بعضلاته القوية المتينة الأديان الأخرى، فكانت عاداتها هي المعتمدة كأساس له، لما فيها من البساطة أولا، والدين الاسلامي وتعاليمه ومبادئه كلها بسيطة سهلة، ولما رزقته من أن تنبت بذرتها الأولى، في تربيتها في بادية (الحجاز) ثانيا، ثم أقام أولئك البادون بأنفسهم يفتحون العالم بأخلاقهم، التي تهدبت وترقت بهذا الدين الخفيف، ويهاجمون مدينة الفرس والرومان والقوط، مهاجمة من يستيقن أن له الفوز الأخير والنصر في الختام، وعدا وعدوه بوساطة دينهم الذي ما جربوا عليه كذبة، ولا وقعوا منه على إخلاف وعد، فترى هؤلاء البدويين في قصور المدائن ودمشق والأسكندرية وطليطلة، لا يعرفون من المدنية إلا كما يعرفه السوسي الجبلي اليوم من أدوات الحضارة الفاسية ومقتضباتها، حتى ان منهم من وقع على الكافور في إيوان كسرى فظنه ملحاً، وهل يعرف في باديته من الأبيض الشفاف إلا الملح، ثم زحرت تلك الموجة البدوية حتى عانقت المغاربة بني الموجة الأولى، التي يحكي بعض المؤرخين أنها زحرت قديماً، من تلك الجزيرة الناتقة التي لا يحوم بها عقم إلى الآن، فتلاءمت الموجتان فامتزجت مياههما، فأقتبست هذه من تلك صبغتها وقوتها، فما مرت إلا عقود من السنين حتى كانت هذه في تلك الصبغة أكثر رونقا، وأشد تأثراً من الأولى، فيما ماجت من جزيرة العرب من أجله، فكان المغاربة بعد أن عرفوا هذا الدين الخفيف، وأدركوا ما فيه من الطمأنينة والسكينة، جعلوا أنفسهم أطناباً وأوتاداً وأعمدة بقبته التي تناطح الآفاق في ضفاف هذا الأطلنطيكي، فكان من عرف منهم من ذلك الدين ما عرف، يميل إلى بني عمه من الذين لا يزالون في جهالاتهم الأولى يعمهون، بالتعليم والتبشير والانداز، حتى زحفت إليهم الخارجية المتمتة، فخلبهم ما لها من بصيص رونق، فقالوا وقعنا على اللب، وفزنا بالسر المكتون، فعضوا عليها بالنواجذ، ثم لما طلع عليهم الفجر الساطع برشيد ومولاه إدريس، وقد أفلتا من إشراك العباسيين، تلقوا ولد النبي ﷺ، كما يتلقى عرافة الأوسي

راية المجد باليمين، فانتظموا حوله، وجعلوه إماما وسلطانا محكما في أرواحهم وأموالهم وبلادهم، حتى أننا لم نتحقق وقوع ذلك حق اليقين بإجماع من المؤرخين، لوقفنا إزاءه ونحن نرسم علامة الاستفهام، كما يرسم المسيحي المتنسك علامة الصليب بين جنبيه، وقد دهشته داهية بغتة، وإلا فكيف يتصور أن يذهب رجل واحد شاب لم يسلخ بعد من عمره إلا عقدين ونصف الآخر، فيتلقاه شعب كامل فيسلم له الصولجان ويرفعه على العرش، ويقف أمامه ينتظر تنفيذ أوامره في نفسه وفي أولاده وفي أبناء عمه، اللهم ما ذلك إلا أثر هذا الدين الذي خالطت بشاشته إلى قلب، حتى تنسيه نفسه وماله وعصيته، فتراه يصيخ للنباة أسماعه، فمتى يسمع هيصة إلى الحق يطير إليها، طيران القطاة العطشى، بعدما تم ظمها إلى الماء

أسس إدريس بن عبد الله أسس الديانة في بضع سنين، في بعض النواحي الشائعة التي لم تتركز فيها ارتكازا ثابتا، ثم اقتفاه أولاده بما في طوقهم، وإن كان في نزعهم ضعف، والله يغفر لهم، ولم يكونوا مثل ذلك العبقري الذي طال على الناس بغربه، حتى ضربوا بعطن

هذه أسس قد تأسست، ولكن تحتاج إلى عبقري آخر يأتي بمعجزة أخرى، فيرفع على ذلك الأسس بناء شامخا تشاد منه القصور، وتتلاأأ فوقه العلال، وقد كان لـ (سوس) منذ العصر الادريسي نفحة دينية، مالت إليه بخصب في العقول، وازدهار في القرائح التي صانت فيها العلوم الاسلامية بصيصها، فقد ذكر لنا التاريخ أن المدارس العلمية التي هي عمدة هذا الدين، قد وجدت في أول القرن الخامس، ويتقوى في ذهن المتأمل، أن لذلك سلفا قبل ذلك القرن، وإلا فمن أين اهتدى وجاج شيخ مدرسة (أكلو) إلى هذا العلم، لولا أنه وجد أمامه مثل ذلك، وأن سنن الكون تقضي أن لا تكون الشجرة إلا من البذرة، وأن لا تكون البذرة إلا من ثمرة شجرة قبلها، حتى تقف على ما يقطع لك ذلك التسلسل، وأنت واجده لا محالة، فلكن كان هذا القياس من

الاستصحاب المعكوس، وهو ضعيف عند الأصوليين، فإنه كما ترى مؤيد بسنة الكون، فهؤلاء الأدارسون المؤسسون قد انقضوا 313 هـ، وهؤلاء العبيديون والأمويون، ثم ملوك الطوائف في المغرب والأندلس قد تجاوزوا إلى المغرب بسياساتهم، التي لا يذكر فيها للدين ولا لتشييده مقصد، إلا ريثما يمهّد به من لا يمهّد له سواه، ثم يلقي ظهريا، ثم يقبل السياسيون هؤلاء على ما هم بصدد من خنق الأمة وجمع الحيايا

هكذا مضت هذه الفترة في القرن الرابع وربع الذي بعده، والدين يصرخ ولا مغيث له، ويستجدي ولكن في الآذان وقرا، فلا شك أن لآخواننا السوسيين في التألم للدين إذ ذاك مبلغا عظيما، وإلا فما لطلبة تونس الذين حلّقوا على الأستاذ أبي عمران، لم يوجد منهم مثل ما وجد في الذين حلّقوا على وثاك (سوس)، وما لابن عمران رجا من هؤلاء ما استياس فيه من الآخرين، أترى ترفة المدنية وحده هو العذر الوحيد لأولئك، وشظف البداوة وحده هو الحافز لذلك السوسي، الذي انتدب من حلقة وثاك، أن جواب هذا السؤال ربما نجده في قول القائل (أنا الغريق فما خوفي من البلل)، اللهم ما ذاك إلا من اختلاف النفسات، ولا يمكن أن تنشأ نفسية الانسان إلا بنت بيئته، فإننا نرى اليوم أبناء المدنية الغربية، وما أدراك ما المدنية الغربية يتطوقون إلى المفاوز، طائعين في سبيل الاستعمار أو في سبيل التبشير، أفيكون من بحلقة أبي عمران أكثر ترفها منهم ؟

دالت الدولة المغربية بعزيمة العبقري عبد الله بن ياسين التمارتي السوسي، فقام هو وخلفاؤه من بعده بتربية الأمة على الدين كما هو، وأطلقت أيدي رؤساء الدين، وقامت ديانة البادية على ساق بله الحاضرة، مع نشر العلم وتلقي كل ما أملاه العلم والدين حكما مسمطا لا يتعقب، فكانت الدولة المرابطية

حقاً هي التي شيدت على أسس الأدارسة دعائم الدين في البوادي، ثم لما خلفتها الدولة الموحدية والمرينية مالت على تلك القصور بالزخرفة والنقش والتخريم، حتى كانت المدارس الدينية منبثة في كل أنحاء المغرب، وهل المدارس والمساجد إلا المنايع الوحيدة للديانة، فإذا ذاك استطعنا أن نشاهد من تاريخ صقعنا السوسي الرعيل الثاني بعد رجيل وثاك ومن إليه، فكان الكرسيفيون والتمليون والسملاليون والرموكيون والحامديون من قادة هذا الرعيل، فكان منهم وعاظ يهدون الناس إلى طريق الخير وإلى سواء السبيل، ومشايخ طرق، وهم دائماً إن كانوا من خصب الصوفية من أنفع الناس للأمة، ومن أقدر المرشدين على الاستحواذ على القلوب وصبغها بالدين الخالص والتوحيد الصافي، وقد كان من أعجب ما رأيت في ذلك العصر أن كل علمائه أفرغوا وسعهم في بث العلم، كما أفرغوا وسعهم في إرشاد العباد، وكانوا يعدون بأكثر من المئات، فكان منهم محدثون ومفسرون، والقائمون على الفقه خير قيام، واللغويون والنحاة، وما إلى ذلك مما ذكرنا في مبحث العلم، وهم مع ذلك هداة بأفعاظهم قبل أقوالهم، أفلا ينجح قطر هذه بعض صفات قادته، و (سوس) إذ ذاك في القرن الثامن والتاسع أجمع. قد انقضت عنه الحكومة، فكانت القبائل تحكم نفسها بنفسها، ومن المشهور عن (سوس) أن الحكومة دائماً لا تستولي عليه إلا إذا قويت = وقد ألم بذلك ابن خلدون في تاريخه = وإلا فإن القبائل تضبط نفسها بنفسها، ولكثرة العلماء وللتربية الدينية التي تنشأ فيها القبائل، كأن رؤساء القبائل في مقام المنفدين وعلماء الدين في مقام الحكم، ولذلك يتعجب المطالع إن تتبع فتاوي السوسيين = وما أكثرها = (1) فيشاهد فتاوي لا تغادر لا صغيرة ولا كبيرة من كل ما يتعلق بالحياة من كل جهة جهة فيقول في نفسه: عجباً من هؤلاء المفتين كيف يتبعون هذه الجزئيات الصغيرة ويستنبطون لها الأحكام، ولكنه إن أطلع على ما يقع في القبائل فإن عجبه سينزل، فكل قضية

---

(1) للمؤلف رحمه الله كتاب في بعض هذه الفتاوي سماه «المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسي»  
وبجاء آلان للطبع  
(الناشر)



قضية لا يقدر أي إنسان أن يتكلم فيها، ما لم يستظهر بفتوى من عالم، فإذا استظهرها تخضع لها الرقاب ويسلم لها تسليما، هذا ما يقع في الأحوال الاجتماعية، ومثله أيضا في الأحوال الشخصية، فقلما يفعل متدين أدنى فعل حتى يسأل عنه العلماء، ثم يطلب من المفتي أن يكتب له ذلك، فهكذا نظمت الفتاوي المكتوبة في ذلك العصر، وشعب هذه صفاته الاجتماعية والشخصية أفلا تحكم عليه بأنه متدين غاية التدين ؟ والسوسيون أصبح من يأخذون الشهرة، لا يجوز للإنسان أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه

ضرب البرتغاليون ضربتهم المشهورة في التاريخ، فكان من حظ رجال الدين السوسيين أن كانوا هم الذين تولوا مناجزتهم حتى أجلوهم عن (المغرب)، فدالت دولتهم السعدية التي كانوا يشغلون فيها أعظم المراكز التي يطبقون إدارتها، فكان السعديون هم الذين أخضعوا جبال سوس من جديد لحكومتهم هذه، فنظموا القطر السوسي وجعلوا على كل جهة قاضيا، وكانت لهم يد طويلة في التدين، فكانت بذلك لوعظ (سوس) ولمرشديه كعب عال، ومقامات وشفوف فكان محمد بن إبراهيم وأحمد بن عبد الرحمن التزركيني وعبد الله بن مبارك عبد المنعم وعياد المنهجي وأحمد بن عبد الرحمن التزركيني وعبد الله بن مبارك الأقاوي ومحمد بن وساعدن وغيرهم من شيوخ القرن العاشر وأصحابهم وهم ما هم علما ودينا وزهدا وقيامًا بالدين كما هو، وقادة القلوب ومداهم النفوس، فاحتشد إليهم السوسيين أجمعين، فتكونوا بذلك جبهة متراسة من أصحاب الدين، مالوا بروحهم إلى كل ما بين أيديهم، فصبغوه الصبغة الدينية التي لما اتصل إلى الآن وقد مر نحو أربعة قرون، وقد كان (السعديون) يتصلون بهؤلاء اتصالا دائما، فأروا منهم ما طأطأوا لهم به الرؤوس على رغم أنوفهم، بل كان منهم من تلمذ لهم، وجاء بجيشه حتى مثل بين يديه، كعبد الله الغالب بالله مع الشيخ ابن موسى، وناهيك بذلك تشهيرا وتنويعا بالذكر، وأما ما كان

من عبد الله بن مبارك الأقاوي من اليد الطولى على هذه الجبال فشيء عظيم، وهؤلاء المذكورون كلهم نقاية، قد انتخلهم ذلك العصر من بين مئات من أمثالهم، ثم خلفوا من بعدهم آلافا مؤلفة من الأصحاب، ساروا على سنتهم ومشوا على هديهم، فكانت (سوس) كأنما أفرغت في بوثقة واحدة، هذا والعلم والعلماء مع هؤلاء، وكثير من هؤلاء علماء أفذاذ مدرسون، متواخون مشتبكون يولون وجوههم وجهة واحدة، شأن الصادقين الصديقين

## الفصل الثاني :

في ذكر مشهورات المدارس من بين القبائل وذكر  
من كان درس فيها من العلماء المشهورين من  
الأحياء (1) ومن الأموات

---

1 ( كان هذا إبان تأليف المؤلف لهذا الكتاب في سنوات منفاه بالبحر . (الناشر) .



بسم الله الرحمن الرحيم  
وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

## (1) المدرسة الإغِيلَانِيَّة

بقبيلة (مسكينة)، وهي قديمة كما يظهر، وقد كان هناك الفقيه  
يحيى، المدفون إزاءها مدرسا، على رأس القرن الماضي، وهو من  
أصحاب الحضيكي، ذكره الاكشتيمي فيهم ..  
ثم لم نعلم أحدا آخر مر فيها، حتى طارت شهرتها أخيرا بالحاج  
مسعود

## (2) المدرسة المَزَارِيَّة

لم تكن بقديمة، وإنما استحالَت مدرسة بعبد الله الرُّكْرَاثِي،  
المقرء للروايات، فهي قرآنية لا علمية

## (3) المدرسة المُحَمَّدِيَّة

أشهر من عمرها الشريف، ثم أُعْبُو بعده، وهي بـ (هشوكَة)

## (4) المدرسة الغَمْرِيَّة

من (أيت عمر) بـ (هشوكَة)، أشهر من عمرها أحمدُ أَجْبَل .

## 5) المدرسة الأخرية الهشتوكية

مر بها العلامة مبارك البعيلي، الاثكصائي أصلاً، ثم المعدري سكنى ووفاة، أخذ عن عبد العزيز وعن الحاج التمدزي، ثم تصوف على هذا، فشارط في مدارس، إلى أن انتهى إلى هذه، ثم خلفه فيها ولده الحسن بن مبارك توفي آخر رجب 1350 هـ

## 6) مدرسة إداؤمئو الهشتوكية<sup>(1)</sup>

عمرها المقرء للروايات عمر التجكيلتي عقوداً من السنين

## 7) المدرسة الأغبالوئية

هي مدرسة قرآنية، درس فيها آل محمد بن الحسن (المتقدم) ومحمد بن أحمد وأهله الروايات

## 8) المدرسة المغدريّة

أسسها مسعود المعدري، ودرس فيها، ثم ابنه أحمد، ثم أحمد العيني، قال بعضهم دخلت عليه فوجدته فيها يدرس التفسير، وأحمد هذا أخذ عن مسعود المعدري، وكان فقيهاً حسن، متقدماً في معلوماته ينفع بعلمه، وتوفي المعدري سنة 1319 هـ

---

(1) لم يعرف المؤلف رحمه الله بهذه المدرسة، ولكن في كتابه «رجال العلم العربي في سوس» في الباب الثاني من الفصل الثاني عندما ترجم لعمر التجكيلتي هذا ذكر بأنه كان قائماً على مدرسة إداؤمئو بهشتوك، ولهذا جاز لنا أن نطلق عليها هذا الاسم (الناشر).

## 9) المدرسة التنزيتية

أشهر من درس فيها محمد بن الطيفور الايبوركي، ثم الشريف الكثيري، ثم الحسن بن الطيفور فخرّج فيها طبقات، ثم عبد العزيز، وأخيرا كان فيها الحاج محمد المقرئ، الحافظ للروايات السبع، أخذها عن عبد الله الرثراثي، والعالم أخذ عن أعبُو وهو عال في دينه، وطبقة أعلى في الذي عنده من الروايات

## 10) المدرسة الوثاكية

أشهر من مر فيها أحمد أنجار، أسال فيها من القراءات ودراساتها سيولا طافحة زمنا، والطاهر السماهري البعمراني قليلا، والاثرازي قبلها ثلاثين سنة، وهي مدرسة أسست بـ (سـ) في (المغرب) أجمع، أسست أول القرن الخامس، ومما أخذ منها إذ ذاك عبد الله بن ياسين مؤسس اللمتونيين

## 11) المدرسة الساحلية

أشهر من مر بها إبراهيم كزور المعدري، أخذ عن مسعود وعن أحمد بن إبراهيم الاثرازي، وفهمه حسن، وقد تصوف على الشيخ الالغي، فنال في ذلك منالا، درس هناك دراسة لا بأس بها، كما درس فيها الأستاذ محمد بن إبراهيم الهرواشي، علامة جهبذ، أخذ عن مسعود المعدري، فكان علامة، ولعله آخر من درس فيها بجبد، توفي في رجب 1331 هـ .

## (12) المدرسة التكريائية البعمرائية

أشهر من مر بها القارئ الضحّاكي زمنا، فخرج منها عشرات في الروايات

## (13) المدرسة البوبكرية

أشهر من مر فيها محمد بن مولود الحمزاوي الروائي سنوات، وهو أستاذ عالي الكعب في ذلك الفن، مثابر على بثه في الناس بصير كثير، حتى كان كل الطلبة في تلك الجهة من تلاميذه، أخذ القرآن عن أبيه مولود، والروايات عن حمزاوي يسمى أحمد التزيتي غير مشهور، وابن مولود توفي وهو في أعماله وإخلاصه طبقة وحده

## (14) مدرسة الجمعة العبلوية

درس فيها محمد بن مولود المذكور، وفيها ابطا كثيرا، ويكون عنده أكثر من مائة، وكان فيها أيضا محمد أبلّوش، الأستاذ الفقيه الجيد التحصيل، أخذ بالمدرسة الالغية أخذا حسنا، وأتقن ما أخذ، وله آداب حسنة، ولا يزال فيها إلى الآن وهو يدرس فيها قبل اليوم بإمعان

## (15) المدرسة التلعينيتية الجرارية

أشهر من درس فيها محمد الرفاكي



## 16) المدرسة الاغرمية الجزارية

أشهر من درس فيها محمد بن عبيل الاغرمي، والمقرئ محمد بن علي الفوركلاني الرسموكي، فذلك خرج فيها في العلم، وهذا في الروايات، وكان فيها مع هذا سنوات 1320 هـ نحو 100

## 17) المدرسة البونعمانية

أشهر من مضى فيها أحمد أضرضور الاثري، ومحمد الماسي، ثم العلامة مسعود، فابنه محمد، فابنه الآخر أحمد كلهم عمروها، وقد رأت سنة 1312 هـ بين جدرانها 120 من الطلبة، ونحو 160 قبل ذلك، واليوم فيها نحو 15 فقط

## 18) المدرسة البوعبدلية

أشهر من مر فيها محمد بن محمد بن أحمد، والد عبد العزيز، ثم الحاج الحسين الافراني، ثم المحفوظ الذي وصلت به الأوج، حتى كانت تزخر سنة 1318 هـ بأكثر من مائة، وقد صار في البيوت مثنى وثلاث، فصار الطلبة يبنون البيوت، فتباع البيوت، ثم درس فيها أيضا عبد العزيز المتوفى سنة 1336 هـ

## 19) مدرسة سيدي همُّو الحسن الأخصاصية

أشهر من درس فيها الحاج أحمد اليزيدي، ومحمد الرفاكي، ومحمد بن الحسن الروايات حتى توفي فيها، وكذلك مر فيها بيبس كما نظن

## (20) مدرسة سيدي علي بن سعيد

مر بها الحسن يبييس، وعبد الله بن محمد الالغي مرتين، فعمراها كثيرا، والمدني بن علي سنوات، وعمرها أيضا

## (21) المدرسة اليزاكارنية

مر بها كل من يبييس وأحمد بن صالح الافراني والعربي السمكني، وفي عهودهم كلها زحرت بالطلبة، خصوصا بالآخر، ومر بها أيضا مبارك البعقلي

## (22) المدرسة الأمسراية

درس فيها محمد بن المحفوظ، فاجتمع عليه عشرات، وتخرج عليه منها أفراد، وعبد الله بن محمد الالغي والبشير بن أبي بكر الاغوديري، وكلاهما عمراها بالدراسة الجدية، والبشير علامة حسن في الفقه والنحو، من خريجي المدرسة الالغية، وقد كان ابتداء حياته بمجد، فتخرج به تلاميذ بعضهم متفوق إلى الغاية، إذا به اعتبط سنة 1337 هـ، ومن مر بها أيضا عبد الرحمن العوفي الفرضي فيها دراسة ما، والفقيه أحمد بن محمد الأمسراي، وهو من جيرانها، وهو علامة محصل فائق، غير أنه غير محظوظ في أخلاقه وعلمه، جال كثيرا في التوازل فلم ينجح، أخذ عن المحفوظ، ولا يزال حيا

## (23) المدرسة التفجيجية

درس فيها ابن المحفوظ كثيرا، وهو فقيه حسن، تخرج به أناس .

## 24) المدرسة الأدائية

درس فيها محمد بن إبراهيم، الفقيه الصواني في أواخر القرن الماضي، وهو حسن دراكة نوازي، لم ندر عمن أخذ، وقد درس هناك ما شاء الله، ونعرف من ذكر أنه كان يأخذ عنه، وقد تصوف بعد ذلك على الشيخ الالغي، فنال منال العارفين ورد التبعات، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب، توفي نحو 1313 هـ، وكما درس فيها عبد الله بن محمد الالغي، والعربي السمكني قبله، وقد أدركت بهما شأوا بعيدا، وقد تخرج منها بعبد الله أفراد لا يزالون أحياء، ثم عبد الله بن إبراهيم الالغي درس فيها قليلا

## 25) المدرسة التكرية

مدرسة قديمة قبل القرن الثاني عشر، ويظهر أن محمد البراغي الذي دفن بجانبها كان مدرسا فيها، وهو صاحب المؤلف المشهور في «المبنيات»، وأولاده موجودون في كدميو بالحوز يسمون البراغيين، كما نص عليه ابن العربي الأذوي، وقد ذكر في آخر مؤلفه المذكور تاريخ تأليفه، فمنه يعلم عصره، وأستحضر الآن ما قال في ذلك، ومر أيضا هنالك محمد بن بلقاسم الأثكاري، فقيه جيد، جال في النوازل ما شاء الله، وكانت وفاته وهو مشارط هنالك، فتك به من حكم عليه في نازلة في الطريق، وذلك قبل 1280 هـ، وكما مر بها محمد بن ابراهيم التمارتي الشهير، وبه زحرت الدراسة، فتخرج منه كثيرون، ثم محمد بن عبد الله الأساكي، ودرس فيها أيضا، كما كان قبل هؤلاء كلهم عبد الله الأبوشكري في أواسط القرن الماضي، ومر بها أيضا الشيخ إبراهيم بن صالح التازروالتي، والفقيه إثنك سنة 1314 هـ، ثم استقر فيها

الأستاذ الطاهر وولده محمد، فعمراها بما يعلمه كل أحد، فكم أديب  
تخرج بها، إلى أن دار الفلك، وطلعت الشمس من مغربها

## (26) المدرسة الرخاوية

درس فيها كل من الحاج الحسين الافراني والمحفوظ الأدوزي، وهي  
باكورة مشارطاته، فغمرها تحقيقا، فافعومت بالطلبة سنة 1310 هـ،  
ثم احتلها الفقيه أحمد أبو الطعام، وهو ضئيل فتضاءلت به المدرسة،  
وإن كان كرمه مديد الباع، حتى آوى إليه علماء الأعراب، ولكنهم لا  
يدرسون إلا بينهم خاصة، وفيها اليوم أحمد أزكاي، ولكن لا يعد أن  
يؤذن ويصلي وحده، فأين من يصلي معه

## (27) المدرسة التازروالية

وهي قديمة، ربما بنيت من القرن العاشر، فممن مر بها أحمد بن  
مسعود المعدري نحو 1316 هـ يدرس فيها، وأحمد بن إبراهيم  
الآثري، العلامة الفهامة، وهو شيخ محمد بن مسعود المعدري، وكان  
يجيء إليه، وقد شارط هناك في العقد الأول من القرن، هو وإبراهيم  
كزور، فيأخذون عنه في العواشر الفنون البيانية والمنطقية، وكان علامة  
في ذلك، وقد راجعها أيضا نحو 1321 هـ إلى أن مات فيها، ومر فيها  
أيضا أحمد بن عدي سنة 1280 هـ، ودرس فيها دراسة ما، وأحمد بن  
صالح الافراني، ومحمد بن علي الفرثلاثي، فغمرها عمارة عظيمة، معه  
80 عدا، كما حكى لنا من حضر، وعبد الرحمن بن الفاضل الدكالي  
الصحراوي، يدرس فيها العلوم بهمة مع الفرثلاثي هذا، أخذ عن محمد  
الأمغاري الحاحي العلوم، وعن محمد أعجلني القرآن والروايات، وتوفي

بمدرسة أيت داوود بـ (حاجة) نحو 1323 هـ، وعبد العزيز والحاج الحسين الافراني كلاهما يدرس فيها بهمة، وأخيرا كان فيها إبراهيم بن صالح، فشغرت من الدراسة ولو قليلة، لتوجهه إلى تصوفه، فتكدر أهل البلد، ولكنهم استحووا منه، ثم سعى بعض الناس إلى أن شارب فيها الطيب بن إبراهيم الأثاري فدرس فيها، ولكن لم يلبث الأول أن استرجعها، وصادف ذلك موت الهمم، فسكت الشاكون

## (28) المدرسة الأثارية

درس فيها بلعيد الأبوشكري، من أهل القرن الثاني عشر، ممن أخذ عن أحمد بن محمد الظريفي الصواي، ثم شغرت من الدراسة إلى أن درس فيها عبد الله الأبوشكري وأحمد بن سعيد العرثوني، ومحمد ومينكث الأثاري، وبه هناك تخرج صالح الأسكوري، الفقيه النجيب الذي أخذ أيضا عن الحاج ياسين في مدرسة تافراوت المولود، لكنه اعتبط نحو 1286 هـ، ثم بقيت المدرسة بعدهم إسمًا بلا مسمى، وقد حاول الفقيه سعيد الأثاري أن يدرس فيها، وهي بيده مدة حياته، ولكنه لم يخلق، كما يقوله لذلك

## (29) المدرسة التاغلولوية

درس فيها محمد بن عبد الله الأبوشكري صاحب «المدح النبوي» في نحو 1280 هـ، ثم محمد بن عبد الله الأساكي دراسة ما سنة 1298 هـ، وعثمان بن أحمد الاثري الآخذ عن مسعود ومحمد بن العربي، وهو فقيه حسن سليم الطوية، مقبول المعاشرة، صوفي الأخلاق، وقد تصوف على يد الشيخ الالفي، درس هناك، ونعرف أناسا أخذوا

عنه فيها، ثم ابراهيم بن صالح عانى فيها دراسة ما، وكان قبل هؤلاء كلهم يدرس فيها عبد الله الأبوشكري، ومنها تخرج به عبد الله بن الحسن الأعْدائي

### 30) المدرسة الأدوزية

ربما أسست في أول القرن الثاني عشر، لأنه درس فيها العلامة ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب، وهو من أصحاب أحمد بن سليمان الرسموكي، الفرضي المشهور، توفي عن سن عالية سنة 1160 هـ، وابنه علي بن ابراهيم، العالي الشأن، أخذ عن أبيه فكان منار عصره علما وعملا، توفي سنة 1207 هـ، وابن أخيه محمد بن أحمد، صاحب التآليف العديدة الجهد، وهو الذي تولى كبر الدراسة في تلك المدرسة في حياة عمه، إلى أن توفي سنة 1206 هـ قبل عمه، ثم محمد بن أحمد شارح «المرشد»، العلامة الكبير القدر من أصحاب الحضيكي، توفي سنة 1321 هـ، ثم (1) البوشاني البعقلي، وهو من أصحاب المذكور قبله؛ وهذا علامة عظيم المقام، أخذ عنه العربي الأدوزي ومحمد بن محمد بن أحمد الأدوزي ظنا، وكان مدرسا مفتيا قاضيا، صالح الحال مشهور بالخير، وله صيت لا يزال مترددا، توفي 1245 هـ، ثم كان هناك أيضا العربي الأدوزي نحو 1248 هـ، ثم محمد ولده سنة 1286 هـ، ثم درس هناك أيضا ابن عمرو نيابة عن هذا الأستاذ من 1313 هـ، إلى 1323 هـ، ثم عبد العزيز إلى 1331 هـ، ثم المحفوظ إلى 1351 هـ

---

(1) ياض بالأصل .

هكذا تيسر لهذه المدرسة أن يتسلسل فيها عظماء، كان لها فيها معهم أعظم شأن، إلى أن توفي الأخير منهم فتوفيت معه، فهذا هي الآن شاغرة إلا من بعض صبية قرآنيين، بعدما وصلت سنة 1286 هـ إلى 200 من الطلبة عدا

### 31) مدرسة أفأوزور

درس فيها كل من عبد العزيز الأدوزي، وأبو الوجوه المقرئ الحمزاوي، وابن عمرو عمرها عقودا من السنين، وأعجلني وخالد بن عبد العزيز الأغرابوي، فقيه حسن مشارك، توفي نحو 1295 هـ

### 32) مدرسة أفلا أوكنس لآل تركانيين

كان يدرس فيها في القرن الحادي عشر العلامة علي بن أحمد، قرين عبد الله بن يعقوب، وكانا معا فرسى رهان في التدريس، توفي علي سنة 1049 هـ، ودرس فيها أيضا خالد التركينيني، دراسة ما بحسب العدم، وآخر من درس فيها أحمد بن سعيد الأثاري، سنوات قليلة

### 33) المدرسة الاكضييَّة

اشتهرت بالمدرس فيها عقودا من السنين عمر التلمي، الفرضي المشارك الصوفي، أخذ عن الحاج محمد بن بلقاسم اليزيدي، وعن ابن العربي الأدوزي، وتصوف على الالغي، وكان في الورع والمراقبة فريدا، مع زهد توفي سنة 1335 هـ، ثم ابن أخيه عبد الله، فقيه حسن حيسوبي فرضي، بقي هناك إلى أن توفي سنة 1346 هـ .

### 34) المدرسة المصيتية

مر فيها الحاج الحسن التمدزتي، وفيها كان يأخذ عنه مبارك البعقلي،  
ومحمد بن عبد الرحمن الحاحي، ومر فيها أيضا ابن عمرو، ودرس  
فيها

### 35) المدرسة الأماسينية

أسسها في آخر القرن الماضي عبد الله بن.....(1)  
بماله، ثم أعانه الأماسينيون، فزحرت بطلبة القرآن عشرات، وهذا  
السيد ممن تخرج بأنجَار

### 36) المدرسة الارازانية البعقلية

درس فيها عبد الله المذكور

### 37) المدرسة الألكيضائية

مر فيها محمد بن عبد الوافي الفقيه الجيد، تخرج بالاكثتيميين،  
وكان يدرس فيها سنوات 1280 هـ، وفيها أخذ عنه عمر الاكضيي،  
وابراهيم بن صالح التازروالتي، وآخرون، توفي نحو 1314 هـ، ثم موسى  
بن صالح دراسة ما، وهو أغرابويي، فقيه جيد حسن موصوف بالخير،  
أخذ عن ابن العربي الأدوزي، توفي قبل 1350 هـ بقليل شابا، وبقيت  
عليه هناك قبة، وهذه المدرسة إنما هي مسجد كبير أصلا، ثم تفرعت  
إلى مدرسة

---

1) يياض بالأصل



### (38) المدرسة الوقاوية

درس فيها عبد الله الكرسيقي، الذي قيل انه مؤسسها في أوائل القرن الماضي، وهو علامة مذكور، لعله توفي نحو 1240 هـ، والله أعلم، ثم ولده محمد بن عبد الله فقيه جيد، لعله تخرج بأبيه، لأننا لا نعرف له ولأبيه مُتَخَرِّجًا، توفي هذا قبل أن يَخْتَمَ القرن الماضي كما حدثنا به، ثم درس فيها أيضا محمد ابن الحاج محمد التلمي التازولتي، العلامة المفتي المدرس الكبير، وفيها قتل سنة 1259 هـ كما تقدم، ثم كل من ابن عمرو، وخالد بن عبد العزيز الأغرابوي، والحاج محمد بن بلقاسم اليزيدي، وابنه أحمد بن محمد أخيرا، وبه استرجعت بعد عقود من السنين ما كانت تعرفه، وقد أعرض عنها آخرون مروا بها

### (39) المدرسة الالغية

تأسست سنة 1297 هـ، مؤسسها محمد بن عبد الله وعلي أخوه، والمشارطون عندهما الحاج محمد اليزيدي، والشيخ الالغي الدرقاوي، وأبو القاسم التجرمونتي، وأحمد بن محمد اليزيدي، والمدني بن علي، وعبد الله بن إبراهيم الالغي

### (40) المدرسة الاغشانية

درس فيها عبد الرحمن الأعرج السالمي، وعنه أخذ فيها عبد العزيز الأدوزي، ومحمد بن عبد الله الكرسيقي، ذكر أنه ابن عم المذكور، وأنه توفي نحو 1297 هـ، وكما مر بها محمد المغماني الكبير، سنوات 1280 هـ، ومحمد بن محمد ولده سنوات 1318 هـ، وكان هذا

علامة مدرسا تخرج كثيرين وتوفي سنة 1336 هـ، والعربي السمكني، ولعله أسعد من مر بها أخيرا في تخرج التلاميذ النجباء منها، ولا يزال عشرات أحياء منهم، وقد مكث فيها سنوات كثيرة، يتخللها الخروج منه ثم رجوعها إليها، ثم كان هناك أيضا عبد الله بن محمد، وهو أيضا جال في التدريس فيها جولانا منتجا، وبحيا اليوم كثيرون أخذوا عنه فيها متخرجين، وكذلك أحمد بن محمد اليزيدي، وأبوه قبله، وكلاهما أراها الجد، وأحمد آخر من درس فيها بجدة ومواظبة

## (41) المدرسة التارصواطية

مدرسة الحضيكيين، ففيها تخرج نحو مائة من الفطاحل، من عند العلامة الحضيكي، وغالبهم معلومون في كتاب «الحضيكيين» للاكشيمي، وذلك في النصف الأخير من الثاني عشر، ثم تلاه ولداه عبد الله وأحمد، وكلاهما خنزيد متطلع، وناهيك بأن الأول منهما أتقن الفقه حتى أنه كبناني معاصره، وقد سبق الرهوني في انتقاد بعض انتقادات بناني على الزرقاني، كما أن الثاني منهما أيضا مشارك في غير الفقه، وكان له انفراد في عصره، بل في (المغرب) منذ كان إلى الآن فيما نعلم من علم الطب، فقد كان يدرس من هذا العلم كتب ابن سينا بشروح ابن رشد، ويعلم عليها من حفظ التذكرة للأنطاكي، وهذا أعجب العجب، ولولا أن أبا زيد تلميذه يعرف ما يقول لاستبعدنا ذلك، وقد توفي العالمان الجليلان في أول القرن الماضي، وعبد الله أصغر من أحمد، ولهما أخ ثالث يسمى الحسين، عالم أيضا

ثم تلاهم في المدرسة محمد بن عبد الله، المتخرج بمحمد بن أحمد الأدوزي، شارح «المرشد»، وعنه أخذ كثيرون من علماء أواسط القرن

الماضي، وتوفي نحو 1270 هـ والله أعلم، ومن أخذ عنه عبد الرحمن السالمي الابسي، ثم تلاه ولده محمد بن محمد، والغالب أنه تخرج بأبيه، ثم أخذ أيضا عن الاكثتيميين، وتوفي قبل أن يحنتم القرن الماضي، ولم يكن كأهله إقبالا على المدرسة، فلم يشتهر بالأخذ عنه إلا قليل جدا، فبه ختمت المدرسة أنفاسها

## 42) المدرسة الايمورية

تأسست في مفتتح هذا القرن، فمر بها العلامة الطيب اليزيدي ودرس فيها، وإذ ذاك أخذ عنه أحمد اليزيدي الأديب، ثم المكي بغده وأخذ عنه كثيرون، وتخرج به قليل، وكادت تكون مدرسة وحده، ثم محمد ابن الحاج حينا، ثم أحمد بن صالح الافرائي، وإذ ذاك سنوات 1325 هـ، تخرج به المدني الالغي، ثم طويت فيها الدراسة الجدية إلا لماما، حين كان فيها الطاهر بن علي وعبد الله بن ابراهيم، الالغيان

## 43) المدرسة التهالية

تأسست على يد عبد الله بن إبراهيم التوفتارمكثاني، الرجل الصالح نحو 1290 هـ، أو قبل ذلك بسنوات، فكان فيها ما شاء الله، ثم عمر التازروالتي التاغمجيجتي، ابن نجباء المتخرجين من تحت يد محمد بن إبراهيم التمنارقي، وذلك في سنوات 1296 هـ، ودرس فيها دراسة مآ، ثم توفي قبل اختتام القرن، ثم أحمد الأسكاري، أرساه فيها شيخه عبد الله بن إبراهيم مؤسسها، فلبث فيها لا ينقطع عن التدريس، وإن لم يكن فيها بذى شهرة كبيرة، ولكنه حظي بأن أخذ عنه علماء عظماء اليوم، ولم يزل هنالك إلى أن توفي نحو 1335 هـ، ثم أحمد بن عبد الله

الأقريضي، لكن تدريسه فيها ضئيل، بعدما كان معروفا بالجد في (تاكوشة)، وسبب ذلك هذا الفتور العام، ولا يزال فيها إلى الآن

#### 44) المدرسة البومروانية

مدرسة قديمة مذكورة قبل القرن الماضي، وأقدم من عرفناه فيها، أبو القاسم العباسي في أوائل القرن الماضي، وربما كان فيها قبل ذلك، أخذ عن الحضيكي، وعن محمد بن الحسن التغزيفتي، وعلى هذا تخرج في أول العقد الأخير من الثاني عشر، وقد درس فيها، ولعله توفي نحو 1340 هـ، ألم يذكره أبو زيد في «الحضيكيين»، وذكر أنه رآه بتلك المدرسة، ولكنه أغفل وفاته، ثم مر بها أيضا عبد الله بن محمد بن يعزى السملالي، في النصف الأخير من القرن الماضي، ولعله أبطأ فيها، وقد غادرها بوفاته سنة 1294 هـ، ولم ندر عن من أخذ، ثم محمد بن عبد الله الالغي، درس فيها بالجد سنوات، والشيخ الدرقاوي الالغي قليلا، نائبا عن ابن عبد الله، وأبو الوجوه عمرها بقراءة الروايات سنة 1299 هـ، والحسين بن بكري بعد ذلك، وهو أستاذ نجيب حسن الفهم، تخرج بمحمد بن المحفوظ، وقد ظعن إلى (حاجة) فشارط في مدرسة (1) ب (نكنافة)، وهناك مات، ودرس فيها أيضا العلامة الطاهر بن محمد الافراني سنة 1329 هـ، فعادت به إلى الجدد، ثم عبد الله بن محمد الالغي، وأحمد بن محمد اليزيدي، وهو من جد فيها بالدراسة، ثم تداوها أقزام في الهمم، لا يعدون آثارا

---

(1) ياض بالأصل .

## 45) المدرسة المولودية الرسموكية

مدرسة قديمة مشهورة قبل أواسط القرن الحادي عشر، وفيها كان عبد العزيز الرسموكي يدرس، فيأخذ عنه اليوسي، وقد وصف ما أخذ عنه في فهرسته، وكان لا يشارط فيها إلا المجدون، كمحمد بن الحسن التغزيفتي أواخر القرن الثاني عشر، إلى أن كان فيها الحاج ياسين بعده 1227 هـ، فغمرها بالعلوم وعمرها بالجد، وتخرج عنه فيها إذ ذاك كثيرون، وكانت في طول حياته مدرسته الخاصة يدخلها متى شاء، ويفارقها إن شاء، وفي خلال ذلك يكون فيها آخرون، من بينهم الحاج محمد اليزيدي سنة 1285 هـ، وفيها يأخذ عنه متخرجون به مشهورون، وأيضاً مسعود بن مسعود ممن تخرج بالحاج ياسين، كان فيها ما شاء الله مدرسا، ويوجد اليوم فقيه يسمى بلعيد، كان ممن تخرج بمسعود هذا، ثم خلفه في المدرسة بعد وفاته، وهو أستاذها اليوم، وقد مر بالمدرسة أيضاً أحمد بن محمد اليزيدي سنوات 1353 هـ، فأفاض فيها سجالات من المعارف بجده الذي لا يفارقه، وهو آخر من درس فيها بجيد

## 46) المدرسة التزموتية

عريقة في القدم، كانت مشهورة قبل أواسط القرن التاسع، وفيها يدرس الكراميون، ومن بينهم سعيد، المتوفى سنة 882 هـ، وإن كان درس في محل آخر إزاء مكان سوق (الثلاثاء الأثارية) اليوم، ويقال إن هناك ألف تأليفه، ويقال إنه آخر من أخذ من السوسيين بـ (الأندلس)، كما درس فيها أيضاً عبد الرحمن الكرامي أخوه، ثم أولاد

سعيد بعده، ثم لم نعرف حالتها إلى أن نبغ عبد الله بن يعقوب من أسرة أخرى، فدرس فيها 35 سنة، إلى أن توفي سنة 1052 هـ، وهو علامة جهبذ، أخذ عن محمد بن ابراهيم ابن الشيخ محمد بن ابراهيم التمارقي، وعن عيسى السكتاني بـ (تارودانت) وعن آخرين، وقد اشتهر في ذلك العصر بالتدريس في تلك المدرسة، فتخرج به كثيرون، أحصى منهم بعض مؤرخي تلك الجهة ما يقارب الثلاثين، ولا شك أنهم أضعاف ذلك، وترجمته واسعة، ثم خلفه في المدرسة ولده بيورك، العلامة الناشئ بين الدفاتر والمحابر والأعمال الصالحة، فنسى بها كل شيء، فأمضى 32 سنة التي قطعها في الحياة بين دراسة وتأليف، وهو من مفاخر (سوس)، توفي سنة 1058 هـ، ثم خلفه فيها محمد أخوه، وهو من الفطاحل الكبار، لا يعرف إلا الجد في كل شيء، خصوصا في التدريس، توفي سنة 1082 هـ، ثم تلاه ولده محمد بن محمد، فضم إلى ذلك التليد طريفا جديدا بهيمته، إلى أن توفي سنة 1122 هـ، وهؤلاء من عرفناهم درسوا إذ ذاك في المدرسة التزموتية ثم أقبروا فيها، ثم انتقل أولادهم بتدريسهم إلى (أدوز)، ومن ضم ها هنا إلى ما تقدم ذكره، مما لهم في الأدوزية، يعرف فضل تلك الأسرة على العلوم العربية بسوس، وكم لتلك الأسرة من نظائر

وأخيرا في هذا النصف الأول من هذا القرن كان في المدرسة التزموتية محمد بن محمد المقماني يدرس، ولعله آخر من درس فيها

## 47) مدرسة دُودَرَارِ الرِسموكية

درس فيها عبد العزيز، ومر له فيها جد لا يدرك، وقبله الطيب بن أحمد التكوشتي الصوايي، درس فيها بجد سنة 1299 هـ، ويوجد اليوم

من أخذوا عنه إذ ذاك، توفي بعد ذلك، وأخيرا كان فيها علي بن الطاهر، وهو بالدراسة الجدية أحق بها وأهلها، وقد جال فيها، ولكن الدهر خثون

#### (48) المدرسة التيزگينية

درس فيها عبد العزيز أيضا وآخرون، وذكر لي أن غالب علماء (رسموكة) الكبار، درسوا فيها قبل أن يدخل هذا القرن، ولكن لم نعرف من هم بالتعيين

#### (49) المدرسة الأثدالية

أسسها أحمد الصواني في النصف الأول من القرن الثاني عشر، وفيها درس معه العلامة الورزازي نزيل (تطوان)، وهو المشهور بنقل «بناني» وغيره عنه، حتى قيل أن حاشية «بناني» اعتمد فيها على طرر لهذا، ومن تلك المدرسة تخرج الحضيكي، ولأحمد الصواني ترجمة واسعة في طبقات تلميذه، توفي سنة 1149 هـ، ثم درس هناك أيضا محمد بن أحمد التاساكاكي الايلاني، من المتخرجين بالحضيكي، أرسله لعمارة تلك المدرسة حين طلبت ذلك منه عائشة بنت أحمد الصواني، وللتاساكاكي مقام محمود في منازلة الثائر بوحلايس، ونسمع أن السلطان مولاي سليمان جازاه بالخير على قيامه بذلك الواجب، توفي سنة 1214 هـ، وهو آخر من درس هناك إذ ذاك، إلى أن جال فيها أيضا آخرون في أواخر القرن الماضي، لم نتيقن أفعالهم، فذهبت أثرًا مذكورًا

## 50) مدرسة.....(1)...

أشهر من مر بها محمد بن محمد الوسخيني، وهو الذي أجازته عبد الله الأكتشيمي، بإجازة موقعة سنة 1183 هـ، وكان قبل ذلك مدرسا وبعد ذلك في تلك المدرسة، وفيها أخذ عنه ابراهيم العيني صاحب «الرحلة»، ولعل الوسخيني توفي قبل 1214 هـ أو فيها نفسها، ثم اشتهر أيضا هناك محمد بن علي الأكلوي، ممن تخرج بالحسن التمشدشتي، ومن هناك تخرج به الفقيه الحسن الراسلوادي، توفي ابن علي في مدرسة (فم الساقية بأكلو) مشارطا سنة 1296 هـ، ولم تكن هذه المدرسة أصلا إلا مسجدا كبيرا، فاستحالت مدرسة للعلوم بهم هؤلاء، ثم اندثرت فيها هذه الأعمال باندثار الهمم

## 51) المدرسة الكونكية الهشتوكية

اشتهرت أخيرا بالحاج عبد الشهيد، فقد أفعمها تديسا، حتى تخرج به أمثال الحاج الحبيب وعلي الايسينكي، ثم درس فيها الحاج مسعود الوفاوي، بعد أن حال الجبروت من ابن الحاج الحسن الاكشيمي بينه وبين (إغيلالن)، وذلك سنة 1342 هـ، وهو آخر مدرس عظيم رآته تلك المدرسة

## 52) المدرسة الايوركية

مدرسة عظيمة قديمة من آخر القرن العاشر، ومؤسسها ييورك، ممن تخرج بأحمد بن عبد الله المسكدادي، أعظم علماء النصف الأول من

---

1) لم يعرف المؤلف هذه المدرسة ولعلها مدرسة ابن جرار بهشوكة أو فم الساقية (إيمي تاركا) المذكورة في النص وغالب الظن أنها الأولى لأن التي تلوها في النص هشتوكية أيضا، راجع تراجم المذكورين هنا في المعول قصد الاستدلال (الناشر)



القرن العاشر، وقد تتابع في تلك المدرسة علماء كبار من أهلها ومن غيرهم، لأنهم يستوردون الجهابذ إليها أحيانا، فهذا أحمد الصوابي مات هنالك، لأنهم استوردوه في رمضان لدرس الحديث، فصادفه يومه، ونأسف حيث لم يمكن لنا أن نوفي هذه المدرسة حقها، لأن تاريخ تلك الأسرة، وأخبار مدرستهم لم نتصل بهما

## 53) المدرسة الأزاريقية

أقدم مدرسة نعرفها بعد الوثائقية، فهذه الأخيرة أسست في أوائل القرن الخامس، على يد محمد وثكاف المتوفى نحو 445 هـ، والأخرى رأينا من نص على أنها أسست في القرن الثامن، ولا أدل على ذلك من أن تلك الأسرة، كما لها قبل النصف الأخير من القرن التاسع شأن عظيم في العلم، ويسمون أبناء عبد العزيز، وناهيك ببناء محمد الشيخ التمارتي حين كان يقول وهو يروي على محمد بن ابراهيم البعقلي في تقبيل اليد والسيادة ما أدركنا الكراميين وأبناء عبد العزيز على ذلك، وأبناء عبد العزيز هؤلاء يضافون أحيانا إلى (حجر عيسى)، وتارة إلى (تيلكات)، وتارة إلى (إيسي)، فأما نسبة بعضهم إلى (إيسي) فلعل لهم دارا هناك أيضا، وإلا فمئزهم بـ (تيلكات) بـ (أيت حامد) قرب (أزاريف)، وقد مضى منهم شعراء أدباء علماء قضاة منهم، وأول من نعرفه منهم علي بن محمد بن عبد العزيز، الآخذ عن ابن هلال ونزيل (أقا)، ولم يذكر وفاته، وولده سعيد بن علي توفي قبل 980 هـ، والصوفي عبد الرحمن بن علي، أخذه من أقران أحمد بن موسى توفي سنة 984 هـ ويؤخذ عنه، وأحمد بن سعيد بن علي توفي سنة 997 هـ، والحسن بن سعيد أخوه، الذي جال أيضا في الرئاسة توفي سنة 1033 هـ، ومحمد بن سعيد بن علي أخوهما، توفي سنة 1043 هـ، وهو قاضي القضاة في

عصر بودميعة، المستبد به بـ (إيليج) أولاً، وعبد الرحمن بن محمد بن سعيد قتل سنة 1023 هـ

وهؤلاء كلهم كما يرى الانسان متأخرون عن القرن التاسع، الذي هو متعلم محمد الشيخ، المعمر نحو تسعين أو أكثر المتوفى سنة 971 هـ، ولا شك أن هنالك علماء آخرين قبل علي، كأبيه محمد وإخوته، إن كان لهم إخوة، ونرى أن هؤلاء هم أو بعضهم المدرسون في مدرسة (أزاريف) بعدما أسسها أجدادهم، ثم لم نعرف من هناك أحداً إلى أن نبغ محمد بن يحيى الأزاريفي، المدرس العلامة المتوفى سنة 1116 هـ، ثم ولده أحمد، المفتي الكبير، وقد رأينا أسئلة تتوجه إليه، إلى أن نبغ هناك في النصف الأخير من القرن الماضي الحسين، الدراكة المدرس المشهور، المتخرج بالعربي الأدوزي، وقد خرج كثيرين، وقد خلفه ولده محمد بن الحسن، المتخرج بوالده، فأقبل وأقبل في المدرسة، وكانت له شهرة طائرة في التدريس فخلفه بعده أخوه الحسن، ولكنه دونه بكثير، فتوقف الدولاب

ثم إن ما ذكرناه من أن أبناء عبد العزيز، منهم أنفسهم الشعبة التي نبغ منها محمد بن يحيى وأولاده، هو ما أخبرنا به ولسنا في ذلك تام، وإن كان لا يصح كون تلك المدرسة قديمة العهد إلا بذلك، وفي تلك المدرسة خزانة عتيقة تذكر، ولا تزال محفوظة

## (54) مدرسة تيزي الاثنين

اشتهرت في أواخر القرن الماضي بالحاج محمد المقرئ للروايات، فقد تخرج به كثيرون، وطفحت به المدرسة طلبة سنوات 1280 هـ .

## 55) مدرسة إِمِي لَتَيْنْ

اشتهرت في النصف الأول من هذا القرن بالأستاذ مبارك المِلْكي الحمزاوي، أخذ عن عبد الله الرُّكْرَاكِي حتى تخرج، ثم شدا في المعارف بـ (أعبو)، توفي سنة 1342 هـ

## 56) المدرسة التُكْشْتِيَّة الصَوَايِيَّة

تأسست في أول القرن الحادي عشر، على يد الفقيه سعيد بن الحسن من (أَوْجُو)، فدرس فيها إلى أن مات سنة 1047 هـ، ثم لم نعلم من درس فيها إلى ابرهيم بن محمد العلامة الشهير، أخذ عن الناصريين بـ (تَمْكُوت)، توفي في (مصر) حاجا سنة 1136 هـ، ثم ابن أخيه محمد بن أحمد، فتخرج به كثيرون مذكورون في التاريخ، توفي سنة 1164 هـ، ثم تلاه ابنه أحمد بن محمد، إلى أن توفي نحو 1190 هـ، ثم ولاه فيها ابرهيم بن محمد أخوه، آخر القرن الثاني عشر، بعدما تخرج بـ (فاس) بيناني وجسوس وأبي حفص، فكان قطب الفتوى ورجل الدراسة، إلى أن توفي سنة 1214 هـ، وبعد 1214 هـ، لم نعلم كيف حالتها، إلى أن كان فيها محمد بن ابرهيم التُكْشْتِي، ولعله من هذه الأسرة، ما شاء الله، ثم درس فيها الحسن التياسينتي الالغي، وهو فقيه لا بأس به، وكان من أقران محمد بن عبد الله الالغي، فحاول أن يجاريه في التدريس في مبدأ أمره، ولكنه لم يساعده باعه ولا ساعده، أخذ عن محمد بن ابرهيم التمنارقي وعن ابن العربي الأدوزي، وجال في المشاركة كل حياته، إلى أن أسن فتوفي أواسط 1356 هـ، ثم كان في المدرسة أيضا أحمد أقريض، فعمرها ما شاء الله، ثم الحاج عابد، وهو آخر من درس فيها، ثم دخلت في بحر الظلمات .

## 57) المدرسة التَّالِيَّة

اشتهرت أخيراً بمحمد همّوش الأسي، والحاج محمد اليزيدي في سنة 1283 هـ، والحسين التياسينتي، وعمر المقرئ الشهير فيها نحو 1304 هـ، ثم عظم مقامها كثيراً بالأستاذ محمد بن عبد الله أقريض، وهو آخر من درس فيها بجدة

## 58) المدرسة الفُوقْرُضِيَّة

درس فيها الشيخ الالفي الدرقاوي سنة 1296 هـ دراسة وسطى، ومعه نحو 20، ثم الحسن التياسينتي، وكان فيها قبل ذلك الحاج محمد اليزيدي، ولعله آخر من كان درس فيها بجدة للطلبة الكثيرين

## 59) مدرسة تُوفتَارْكَا

اشتهرت بالعلامة عبد الله بن ابراهيم، الذي قيل إنه خرّج منها سبعين عالماً، وما ذلك ببعيد، ولم يخلفه فيها من يذكر

## 60) مدرسة آل تَفِيرَاسِيْن

مر فيها عبد الله بن عمر، ثم ولده محمد، على ما سمعنا، ولعله آخر من درس فيها بجدة، فإننا رأينا الحاج عابد منهم في المدرسة الكونكية

## 61) مدرسة سيدي يعقوب بِإِيلَالْن

اشتهرت بعلي بن سعيد، العلامة الكبير المحظوظ، أخذ عن أحمد بن سعيد النظيفي، وتوفي سنة 1240 هـ، والمتخرجون إذ ذاك بالمدرسة

اليقوبية كثيرون، ثم تلاه ولده محمد بن علي، يعسو بها، ثم حفيده  
الحاج عبد الحميد، أخذ عن جده وعن الأدوزين، وَجَدَ حتى تخرج  
بالمدرسة جماعة، توفي سنة 1318 هـ، فسقط إسمها

## (62) مدرسة بومهدي الايلالية

كان محمد أُنْكِكْ أعلى شأنها حين شارط فيها سنة 1321 هـ،  
فأخذ عنه فيها جماعة، بعدما عمرت بدراسة علي التوفلعزتي ما شاء الله.

## (63) مدرسة تيسدوغاس الايلالية:

اشتهرت بعلماء(آل ثلاث أوكنار)، كعلي بن سعيد والدهم أولاً،  
من أصحاب الحضيكي، فاجتهد هناك، ومن أخذ عنه أبو زيد  
الأكشتممي توفي سنة 1225 هـ، ثم ولده إبراهيم، علامة مدرس توفي  
نحو 1260 هـ، ثم ولداه أحمد وسعيد، الأخذان عن والدهما، ولكن  
نزع أحمد في التدريس ضعيف، توفي أحمد نحو 1290 هـ، وسيأتي  
ذكر سعيد، فشغرت المدرسة من الدراسة الجدية، وحل مكانها  
الصلاح والتبرك، كما اشتهر به أحمد.

## (64) المدرسة التوميلينية:

اشتهر فيها في آخر القرن الماضي سعيد بن ابراهيم بدراسة مًا، وقد  
أخذ عن والده، توفي نحو 1296 هـ، وقد خلفه والده أحمد، وهو عالم  
جيد، أحسن من أبيه، وتقدم أشواطاً في الدراسة، ولا ندري متى مات،  
ومن مر بها قبله عبد الله ابن الأمسلوتني الايلاني، المتوفى

سنة 1214 هـ، أخذ عن الحضيكي، كما مر هناك أيضا محمد بن الحاج الافراني سنة 1324 هـ، وإذ ذاك أخذ عنه أحمد بن محمد اليزيدي شيئا.

وتلك المدرسة من القرن الحادي عشر، أسسها العلامة عبد الله بن بيورك بن علي بن محمد الايكوني، وهو أديب، وقد نقل عنه ابن الحاج القصيدة المشهورة في امالي القاضي، مطلعها:

نات دار ليلي فشط المزار      فعيناي ما تصعمان الكرى  
وهي لأبي صفوان الأسدي في وصف الفرس.

## 65) مدرسة تسيل وآسيف الايلالية:

اشتهرت بالروايات حين شارط فيها عبد الله أخرباش الحمزاوي المشهور.

## 66) مدرسة إبراهيم بن عمرو

أسسها محمد الشريف، من النصف الأخير من القرن الماضي، فعملها بالمعارف الجمة حتى تخرج به كثيرون، ولعلها لم تر مثله في جده ونشره للعلم.

## 67) مدرسة.....

(1)

---

(1) يفاض بالأصل .

## (68) المدرسة الاكثتيمية:

أول من عرف فيها في القرن الأخير عبد الله بن محمد، جد الأسرة الاكثتيمية، اجتهد فيها اجتهدا منقطع النظر، قال بعض زائريه لولده أي زيد عهدي بوالدك يدرس كل يوم عشرين نصابا، وهذه همة لا تدرك، ثم لما توجه إلى الحج استخلف فيها إبراهيم الجرفي، فدرس فيها زهاء 15 سنة، إلى أن توفي نحو 1212 هـ، وقد أخذ عن محمد بن عبد الله التمكروتي، وعن أحمد بن محمد الظريفي، ثم درس فيها أبو زيد، ثم ولده الحاج عبد الله، ثم الحاج أحمد، إلى أن كان يستيب فيها، فممن استنابه عبد الرحمن الأديب الأسي، وعمر بن عبد الرحمن بن محمد ابن الحاج محمد التازولتي، وعمر هذا علامة دراكة، ممن أخذ عن الحاج أحمد وغيره توفي سنة 1329 هـ، ثم تولاه الفقيه عمرو ابن الحاج أحمد، إلى أن توفي سنة 1349 هـ، وكان هذا متخرجاً بأهله في مدرستهم، وهو حسن الأخلاق، مقبل على نشر العلم، مع وجوده في وقت فتور الهمم، فكانت بذلك تلك المدرسة متصلة العمارة زهاء قرنين بهذه الأسرة المباركة، ثم انطوت صحيفتها بانطواء العلم من تلك الأسرة أيضاً، كأنما كنا على ميعاد

## (69) المدرسة التافراوتية التلمية

شارط فيها الأستاذ محمد بن أحمد الديملاني، من المتخرجين من مدرسة (تمكدشت)، ولد نحو 1235 هـ، وتوفي سنة 1298 هـ، وكان فقيها لا بأس به يدرس، ثم عقبه فيها الأستاذ محمد ابن القاضي الشهير، فبه اتصلت فيها الدراسة واشتهرت، ثم تلاه ولده الفقيه الصوفي عبد الله، وقد تخرج بأبيه ولكنه دونه، وهو صوفي الأحوال، تصوف

بالشيخ الالفي، ولكنه يدرس دائما في فنون، توفي سنة 1323 هـ، ثم عقبه فيها ولده محمد بن عبد الله، المتخرج بعبد الحميد الاليلاني، ولكنه لم يعط همة في التدريس، فدخل في غمار الفاترين، وهو مرتطم في النوازل

## (70) مدرسة تِمَزْجِيدَا وَاسِيْفْ بِأَيْثْ مَزَالْ

درس فيها في أواسط القرن الماضي، العلامة الحسن، والغالب أنه من (أَوْجَمَلْ)، ومن أخذ عنه محمد بن أحمد الكرسيفي الأسكوري وآخرون، ثم لم نسمع بعد لتلك المدرسة جدا في التدريس إلا في المبادئ

## (71) مدرسة سيدي بوسعيد بتسكُذلتْ

مر بها مدرسون، أشهرهم العلامة علي التوفلعزقي في النصف الأخير من القرن الماضي، ولعلها لم تر بعد له نظير فيما نعلم، إلا بعض دراسة في المبادئ، ثم انقطعت أيضا، فلا عين ولا آثار مع شهرة المدرسة

## (72) المدرسة المرغيتية الأخصاصية

مدرسة قديمة لعلها هي التي تخرج منها محمد بن سعيد، العلامة المشهور في الحادي، كما كان درس فيها حين كان له شأن بـ (مراكش) بعد التحاقه بها جرده أهله ليعمر مدرستهم، ولكنه بعد زمن رأى أخلاقا وأحوالا لا توافق ورعه، فرجع يدرس في المواسين، توفي سنة 1089 هـ، ومن مر بها أخيرا أحمد بن مسعود المعدري فيما سمعنا،



ومحمد بن أحمد الأسكوري، الفقيه النبيه الصوفي المشارك، الذي يُدرس دائما أينما كان ولو مع واحد، توفي سنة 1332 هـ، ومر بها أيضا عبد الله بن إبراهيم الالغي، ولعله آخر مدرس حسن مر بها، ثم خر سقفا

## 73) المدرسة التمارتية

من المدارس التي أدت لـ (سوس) ما على المدارس من الحقوق للأمة، أسسها محمد بن إبراهيم الشيخ، أو على الأقل هو الذي اشتهرت به، إن كانت موجودة من قبله، كان الشيخ بعد أن تخرج يدرس في أكادير بـ (ترصواط) من (أمنوز) حيث منشأه، ثم فر إلى قرية (أكُرْضُ إِمْلَانِ)، ثم هنالك إلى (تمنارت) مشارطا ومستوطنا، ثم كان له شأن عظيم بالقضاء وبالدين والفضل والسنة، فقد رأينا له تلاميذ مذكورين في التاريخ ينيفون على عشرين، ونص بعض من ألف فيه أن له أزيد من ستمائة متخرج، وقال المؤرخون انه هو الذي أحيا العلم بـ (جزولة) وهذا كله يدل على ما تلك المدرسة العظيمة الشأن، توفي الشيخ 971 هـ، فدرس فيها بعده ولده محمد، بعدما مات إبراهيم الذي كان له شأن كبير في العلم والتدريس والتأليف، في 971 هـ إلى أن مات محمد 976 هـ، فدرس محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الشيخ الآخذ عن أهله وعن عبد الرحمن التينكّاتي، وابن مهدي الجراري ثم الدرعي، توفي سنة 1004 هـ، وأحمد بن إبراهيم أخوه أخذ عن أهله، توفي سنة 1048 هـ، ثم تتابع منهم ومن غيرهم مدرسون هنالك، إلى أن خلت أحوال (تمنارت) أوائل القرن الثاني عشر، بتلك الفتن بينهم وبين الشرفاء الرؤساء، وقد تقدم أن فتكة واحدة في ليلة ميلاد أردت سبعة من العلماء، وكثيرا من التلاميذ، فذلك هو ما أخلى

المدرسة، فلم ترجع بعد إلى شأنها الأول، وإنما يشارط هنالك فقهاء، وغالبهم يتعاطى المبادئ أو لا يتعاطاها، ويقتصر على الخطبة كأحمد بن محمد الاخير، المشارط فيها سنة 1299 هـ، ثم الشافعي السبكتاني من المتخرجين بـ (تمكّدت) فقد لازم هنالك من أول القرن إلى أن توفي نحو 1347 هـ، ولا ذكر للدراسة أصلا، فلكل زائر اليوم لـ (تمنارت) إن لم يكن مؤرخا لا يخطر له ببال ما مضى هنالك من المعارف الغزيرة استمرت قرنين، وهنالك أيضا في كتاب «الفوائد الجمة» مدرسون كثيرون من أهله، وهم أبناء أعمام أبناء الشيخ، ولعلهم يدرسون في قرية (إيمي اكدير) التي يسكنون فيها، كما مضى أيضا في (تيسلكت) علم جم، وفي (أقا) ومن ينسى مدرسة عبد الله بن المبارك من المتخرجين بمحمد بن إبراهيم الشيخ، وهو من أشياخ صاحب كتاب الفوائد

## (74) مدرسة زاوية الرموكي الأقاوي

ولكن لم يبق اليوم لمدرسة عبد الله بن المبارك أثر، فإن هناك مدرسة حديثة صغيرة أسسها هذا الكريم الرموكي من أغنياء تلك الجهة، فقد درس فيها أبو بكر الأموگاديري، وهو ممن أخذ عن مسعود المعدري بـ (إلغ)، وهو فقيه محسن الفقه، اشتهر بذلك اشتهارا، وقد جال أيضا في النوازل مع الدراسة حتى الاحتلال، فقد كان رسميا إلى أن توفي 1355 هـ، ودرس هنالك أيضا قاضي (أقا) اليوم الهاشمي الفاسي ممن أخذ بالمدرسة الالغية وبالتمكّدتية وبفاس، وهو أديب حسن لا يزال حيا، كما درس فيها أيضا سداتي، العلامة الصحراوي ولا يزال بها، وهو من أتقى العلماء وأجلهم.

## 75) المدرسة التمشدية

كانت قبيلة (إيسي) من قديم ماثبة العلماء والادباء والصالحين، ولا ينسى التاريخ احمد بن عبد الله المسكدادي، ومدرسته في القرن العاشر، ثم تأسست هذه الجديدة الحافلة نحو 1320 هـ، كما نظن، على يد الشيخ أحمد بن محمد، فكانت ثانية لـ (تمكروت)، فنشرت من الافذاذ ما كانوا زينة (سوس) بل و(الحوز)، آخر القرن الماضي وأول هذا، فمدارس (مزوضة) و(أبي السباع) و(متوكة) و(الشياطمة) و(حمر) و(الرحامنة) كلها أو غالبها من نفحات هذه، فقد ذهب محمد المرغي، فأسس مدرسة (مزوضة) فخرج منها مؤسس مدرسة (الساعدات) ومدرسة (بو عنفير) ومدرسة (أولاد مطاع)، ثم خرجت أيضا هذه من أسسوا مدارس في القبائل الأخرى، كما ذهب أيضا من متخرجها الحسين التالمستي المتوكي، بعدما تخرج منها فنشر في مدرسة (تالمست) ما نشر، ومثل هذا وقع في نواحي (سوس)، يعرفه كل أحد، وكل ذلك في صحيفة الشيخ أحمد، الذي درس بجد ونشر ما في صدره، ثم تلاه العلامة الحسن ولده، ثم الهاشم المتوفى سنة 1347 هـ، غير أنه استعان بمحمد البعقلي الأميغرمان، وموسى الأوكي المتوفى نحو 1344 هـ، وكلاهما من المتخرجين وكان ذلك قبل عشرين، ثم قام بالمدرسة العلامة ناصر الالغي، فعملها بجد، بقي من قبل عشرين إلى 1356 هـ حين أسلم الروح، فبركته دامت العمارة هنالك، فكان الطلبة لا ينزلون قط عن 60 طالبا إلى المائة، ولو كان يمشي في دراسته الجديدة مشي الالغيين والأدوزيين والافرائيين من تمرين الطلبة، لكان لعمله أي شأن، وكان ورعا صوفي المشرب غريبا في مراقبته، وبوفاته انقطع الرجاء هناك، وأما أهل الزاوية فلا عالم فيهم، فهكذا دخلت هذه المدرسة في مدخل غيرها والله الأمر من قبل ومن بعد، ثم أخبرنا أن بعض الطلبة يزاول فيها الدراسة أيضا.

## 76) المدرسة الوجانية

كان العلم وتدريسه في (وجان) قديما، وكان عبد الرحمن المسكّداي المتوفى 940 هـ القيوم به في عصره كما ينبغي، وقد تابعه علماء من الامزوغاريين في القرن الثاني عشر والثالث عشر، وفي آخر هذا كان هناك مدرس هو آخر المدرسين، وهو البشير بن عبد الرحمن، من الأسرة اليعقوبية، تخرج بالعربي الأدوزي، ولعله أخذ عن ابنه محمد أيضا، توفي سنة 1308 هـ، وبه انطوى التدريس في (وجان)، وبقيت معاهد الدراسة ينعم فيها اليوم

## 77) المدرسة التازالاختية

مدرسة مشهورة في القرن الثاني عشر، ومن مر فيها إذ ذاك العلامة عبد العزيز التازالاختي، من معاصر الحضيكي، وهو الذي اشتهر عنه أنه كتب كتاب «القسطلاني» على البخاري، بضوء سعف النخل ليلا، تضيء له زوجه سعة فسعة إلى أن أتمه، ولم نعلم وفاته، ويتعاطى الأدب، درس هناك كثيرا، فتخرج به أناس، كما مر أيضا هنالك عبد الله بن محمد الاسكاوري، أستاذ أبي زيد الاكثيمي، فتخرج به أناس، أخذ عن الحضيكي وأحمد التكشتي وبناني وجسوس وأبي حفص والتاودي وادريس العراقي، توفي 1214 هـ، وكان له (تازالاخت) مكانة المدن، وهي مركز هذه الجبال أيام السلطان المولى إسماعيل، وأحسب أنها مذكورة في «المعجب» من مدن (سوس)، ثم سارت الدراسة فيها عرجاء في القرن الماضي، حتى اندثرت قبل أن يختتم

## 78) المدرسة الهارونية بإسافن نيت هرون

ممن مر فيها مدرسا عبد الله ابن الحضيكي، ومحمد بن سعيد التاكرينتي، من العلماء الذين أدركوا آخر القرن الثاني عشر، ثم تداولها بعض علماء في القرن الماضي، غالبهم لا يدرس حتى المبادئ، فكانت الوفاة استعجلتها قبل كل المدارس الأخرى

## 79) المدرسة التكموتية

بنيت إزاء قبر يزعم أنه قبر دانيال النبي، وأشهر من مر فيها العلامة أحمد بن عبد الله الكرسيقي، أخذ أولا عن عبد الله الخياطي الروداني وعن المراكشين، ثم الفاسيين، ثم انتصب هناك 60 سنة متوالية كلها تدريس، حتى تخرج به أفذاذ عظام، توفي سنة 1295 هـ، ثم خلفه فيها أخوه عبد الله، المتخرج به وبأكنسوس في (مراكش)، فدرس بمجد إلى 1307 هـ فتوفي، ثم لم تر تلك المدرسة بعدها من يشق لهما غبارا، إلا ما كان من الفقيه المامون السباعي فلا بأس به، وقد تخرج من المدرسة الططائية ثم انتقل إلى (الحوز)، فتوفي بـ (أبي السباع) بعد 1320 هـ، أو بعد ثلاثين

## 80) المدرسة الططائية

أسستها أسرة آل حسين في زاوية (الهناء)، وأولهم فيها عرف محمد بن حسين، أخذ عن ابن زكري، توفي نحو 1235 هـ، ثم ولده الآخذ بـ (تمكّذشت) محمد بن محمد، واسطة عقدهم إلى 1295 هـ، فتوفي، ثم أحمد بن محمد المستم بـ (فاس) إلى سنة 1301 هـ فتوفي، ثم صنوه

المدني فتوفي أيضا قبل 1310 هـ، وهؤلاء كلهم بحور في المعارف، تخرج بهم كثيرون في تلك الجهة، ويقرأون بالمدرسة كل ما يقرأ بالمدن، وقد أدخل فيها أحمد المذكور تحسينات، ثم تولى الدراسة بعدهم ابن أختهم محمد بن عبد الرحمن الوادرحماني ممن تخرج بهم، وذلك تحت نظر رئيس الزاوية إبراهيم الفقيه، إلى أن توفي محمد بعد 1320 هـ، ثم تصدر أيضا للتدريس أحمد بن عبد الرحمن من خريجيهم أيضا، ومن أخذ عن المامون السباعي، وقد درس هناك أيضا ما شاء الله، وأما إبراهيم فنحوه ضعيف، ولا بأس به في الفقه، وهو اليوم مرتطم في فض النوازل كقاض رسمي، وفي المدرسة صباة

## (81) مدرسة تيميشا من قبيلة حميد

أشهر من مر فيها أخيرا ودرس فيها الحاج أحمد بن موسى الولتي، وقد تبعه فيها آخرون، ولكنهم دونه في الجد في التدريس

## (82) مدرسة إوزيون

مر بها أخيرا أناس منهم عبد الله الأمغاري، من أخذ أولا عن الحاج أحمد بن موسى ثم رابط بـ (القرويين) ما شاء الله في أول هذا القرن، ثم رجع فأكب على التدريس، فتخرج به أكثر من عشرة، كلهم نجباء سدوا فراغا كبيرا، ولا يزال هو حيا إلى الآن، كما مر بها أيضا عبد الله بن وحمان السكتاني القاضي المدرس، أخذ عن أهل زاوية (الهناء) عن يعسوبهم أحمد بن محمد، فدرس كثيرا إلى ما بعد 1330 هـ، فتولى القضاء بـ (سكتانة) إلى أن توفي 1351 هـ، وولده الحاج إسماعيل قاض أيضا اليوم بـ (تالوين)، وهو ممن تخرج بالأستاذ داوود الرسموكي

الشهير، كما مر أيضا بتلك المدرسة الحاج أحمد بن موسى، وبعد هؤلاء  
لبست المدرسة ثوب الحداد

### 83) المدرسة العليا التلية

أعظم من حظيت به ثم لم تطمع أن ترى مثله الحسين يعقوبي،  
الذي أفعمها دراسة وأبحاثا وتحقيقا وتدقيقا في مختلف العلوم، نحو ولغة  
وبيانا وأصولا وفقها وحديثا وتفسيرا ومنطقا، كان ماهرا في ذلك كله،  
ثم لم يسعدهم الحظ به كل حياته، بل نفى يده بعد 12 سنة كان  
فيها مثال الجد، معذرا بفساد طوايا الطلبة في مقاصدهم بالعلم، هذا  
ما زعم

### 84) المدرسة السفلى التلية

وبينها وبين الأخرى رمية حجر، أبطأ فيها الأمغرتي كثيرا مدرسا،  
ومر بها الحاج أحمد بن موسى، ثم غادراها تنذب شجوها هي  
وجارتها

### 85) المدرسة الأكثيفية

أشهر من مر بها أخيرا، وأعلمهم وأعظمهم تحصيلًا، وألزمهم  
للتدريس، وأكثرهم تحريجا، مبارك النظيفي الشهير، صاحب العبارة  
الأنيفة، والهمة العالية، فأنى تجد مثله

## 86) المدرسة التاكركوسية

ظفرت أيضا بمبارك النظيفي ما شاء الله، كما كان فيها الأستاذ أحمد الفقيه، ففيها وهو يقبل بتدريسه والمدرسة حافلة، مر به شيخه الالغي فملك عليه شعوره، فنسي كل شيء فتبعه، وهي مدرسة كبيرة لها شأن في قبيلة (سكتانة)، وقد أسست إزاء ضريح الفقيه محمد بن إبراهيم، من أولاد الشيخ محمد بن يعقوب، وكانت عامرة منذ قرنين بالعلم، إلى أن هوى نجمها اليوم، وممن مر بها قبل ذلك محمد بن أحمد الأزنكاضي، وفيها تخرج به ولد محمد بن محمد بن أحمد بن علي، المتوفى نحو 1310 هـ

## 87) المدرسة الويساغندية

منسوبة إلى الشيخ محمد بن وساعدن، من أكابر الشيوخ الصوفية في القرن العاشر، ويظهر أنه عالم، لأن الطلبة الكثرين كانوا منضافين إليه، يكسوهم ويغذوهم، كما يفعل ذلك بالمرملين، ويجتمع عنده سبعمائة أحيانا، فيقوم بالجميع، وكان حاله حال السبتي وابن عمرو القسطلي المراكشي، ولا عجب فإنه وابن عمرو أخذوا معا عن الفلاح المتوكي، المشهور أيضا بهذا الحال، وقد ورثه عن شيخه التباع، وكان صاحب مائتته، وابن وسعدن معلوم بذلك في التاريخ، وقد تعجب منه الناس حياته، ولولده علي مثل هذا الحال، ثم كان مقامه بتلك المثابة دائما، فكانت المدرسة قائمة أحسن قيام، وهي و (التاكركوسية) عظيمتان متوازيتان، وممن مر بها مدرسا أخيرا الحسن بن منصور وأحمد بن إبراهيم أنزي، لازمها الأول ما شاء الله، وهو من الآخذين عن الحسن الأرازاني فيما ذكر لنا، فدرس هناك إلى أن



فتك به فتاك، بغيا وظلما في حكاية، ولم نخبر بوقت ونوع ذلك به، وأما الثاني فقد كان في أول أمره بليدا، فأعياه الطلب في بلاده، فسافر إلى (فاس)، فتعجب حيث فتح عليه فيها، ثم درس هنالك مكبا على ذلك، إلى أن استولى الباشا الحاج التهامي على تلك القبيلة، فعرض عليه القضاء، فقال حسبك دعوتني لتزيد لي شحذا على بث العلم، إذا بك تريد أن أنقطع عنه إلى القضاء المميت للمهم، فأترك ما أعرف إلى ما لا أعرف، فأعجب به الباشا وأعلى شأنه، فأقبل على ما هو بصده مع قلة الطلبة إلى أن توفي سنة 1351 هـ، فاجفت أبواب الدراسة الجدية، إلا ديبيا في المبادئ غير دائم

## 88) المدرسة الارازانية

من أكابر المدارس التي قامت بنشر العلم بانتظام، فتتابعت منها أفواج المتخرجين طبقات فطبقات، وقد تأسست قبل 1270 هـ، بيد الشيخ أحمد بن محمد التمكدشتي، وكان الحسن التلي مثل ولده الحسن الآخر فنصبه فيها، فاجتهد هذا اجتهدا غربيا، فلم يصل 1280 هـ حتى كان المتخرجون منها يملأون الأندي، وذلك ببركة المواظبة وحسن النظام، وتصحيح القصد، ومقدرة المدرس وراء ذلك، فكان المتخرجون منها هم علماء (سكتانة) والقبلة منبتين، ومن بينهم الفقيه المحجوب المسفيوي، المدرس هناك في مدرسة (أغمات)، قبل أن يختتم القرن الماضي، ثم لما اعتنق الحسن التصوف الدرقاوي اعتنقه كل تلاميذه، فرجع نشاط العلم إلى هذه الجهة الأخرى، وما جعل الله لرجل من قلوب في جوفه، فاستحال كل المتخرجين مقدمين، ينون الزوايا ففسوا المدارس إلا قليلا منهم، ولولا ذلك لتكونت منهم للنهوض بالعلوم بعد شيخهم طائفة كبيرة، ولم تزل المدرسة تنطفئ والزوايا تظهر، والطلبة

يقلون والفقراء يكثر، حتى لا طالب هنالك اليوم، ثم قل الفقراء أيضا، فتبع الأثر العين، وكان من أولاده من درس، لكن أئى لهم أن يجولوا جولته السابقة

## 89 مدرسة السراحنة

أشهر من مر فيها أخيرا فيما نعلم الحسن التكناني، ممن تخرج في مبادئ الأستاذ الحسن الارزاني، له مشاركة كبيرة يذكر بها، ومثابة على التدريس، وكان فصيحاً قوي العارضة لا يسابق في ميدان الأبحاث، حكى بعضهم أنه رآه مع أقران له من علماء جهته يتسامرون في مسائل، فكان دائما هو المجلى، وقد تخرج به أفراد معلومون في تلك الجهة، ومع مهارقه في العلوم، وله بصر في الطب، وكتبه يكب عليها علما وعملا، وبالجملة أنه فقيه حسن ومدرس مقتدر، واحوذى في أعماله، توفي قبل 1320 هـ

## 90 المدرسة الكرمانية

مبنية إزاء ضريح الشيخ محمد بن علي أكربان، وهي مذكورة قبل القرن الماضي، ومن مر فيها محمد بن سعيد الزادوتي، من أسباط هذا الشيخ، أخذ عن الحضيكي، كان يدرس هناك القرآن، حتى كان له ذكر، توفي سنة 1232 هـ، ومن مر فيها أخيرا من مدرسي العلم، لأنها علمية لا قرآنية إبراهيم بن محمد من أيت الحاج، تخرج بالحسن التكناني المتقدم، وهو نحوي جيد مستحضر للفقهيات، ابتداءً تدرسه سنة 1306 هـ، ولم يزل على ذلك إلى أن فارقها، فلزم داره إلى أن مات حوالي 1320 هـ

## 91) المدرسة الشراحيلية

بزاوية الشيخ حسين بن شرحبيل، من أهل النصف الأول من القرن الثاني عشر، وقد قام بها أسباطه الثلاثة محمد ومحمد وأحمد، أبناء بنته في النصف الأخير من ذلك القرن، وكان هؤلاء الثلاثة خير أخوة، فكلهم علماء مدرسون أعلوا من شأن زاويتهم بالعلم على عادة الناصريين، ومحمد وأحمد منهم في النحو طبقة لا يعلى عليها، ولم يذكر أبوزيد الاكثتيمي الذي أفادنا ذلك متى توفروا، ولكنهم على كل حال توفوا قبل 1214 هـ، وفي بينهم علم يذكر إلى آخر القرن الماضي، ولكن لسنا في تفاصيل أخبارهم على يقين، وكذلك أسماءهم، والمدرسة الشراحيلية مشهورة على كل حال بالجد حتى طلع هذا القرن، وقد ذكر لنا مخبر أسماء علماء منهم، لكنه لم يتثبت فيها، فنبذنا ما ذكره

## 92) مدرسة بُورَار من إكطاي

مشهورة بالعمارة قبل القرن الماضي، وآخر من درس فيها وعمرها أسرة آل الريش، الحاج محمد الريش من المتخرجين بالشريف الكثيري، ثم شارط في تلك المدرسة فخرج بها علماء كبارا، وفيها أخذ عنه ولده وأهله، فازدهرت بهم تلك المدرسة، إلى أن طغى حيدة في النصف الأول من العقد الثالث فأحلى هريها، فبقيت مقفرة، فتفرق الطلبة حيث يجدون مأكولا، وبقي الأستاذ وحده، فأقبل على عبادة ربه اعتكافا ومثل ذلك، وبالله ما تلقى المعارف وأهلها من الجبارة الجهال الطاغين

### 93) المدرسة التامازيية

اشتهرت بدراسة اليزيديين محمد بن عبد الملك وخلفه، والغالب عبد الملك العلامة، الذي أخذ عن الأدوزي شارح «المرشد»، وذكر أنه في تلك الجهة هو والده، وأنه هو الذي أسس المدرسة ثم تلاه فيها ولده، وقد تخرج من هنالك أناس

### 94) مدرسة المنايزلة

اشتهرت بالروايات حين كان فيها عبد الله أخرياش، وقد عمرت بالطلبة، ثم بقيت بعده في تداع، وقد ذكر لنا بعضهم أن من رأى المنايزلة إذ ذاك، ورآها الآن، يعرف ما هو الفرق بين العمارة والخلاء، وبين الحياة والممات

### 95) المدرسة البعيرية

تقدم ما يتعلق بها، وبأعمال الطاهر وأولاده، الذين أسسوها وحافظوا عليها زهاء قرن

### 96) مدرسة سَطَّارَت

من (تولوا) من قبيلة (أيت سَمَك)، لم نعرف أن هناك مدارس قديمة، وإن كان لابد أن تكون، وإنما أعمال أحمد الهشتوكي اللهج بالتدريس هي التي أبرزت (سطارت)، مدرسة لها شهرة في جيرانها في

أواخر القرن الماضي ولم تتعدها، ثم تلاه ولده محمد بن أحمد في المحافظة على تراثه، ثم ولده الآخر مُحَمَّد، وفيها آلان الفقيه محمد الاكيلي، ولكن عمها ما عم كل المدارس، ولعل الاكيلي أخذ عن هؤلاء

## 97 مدرسة إساكن

خاتمة مدرسيها المشهورين مسعود أفلوس، حفيد الشيخ مسعود أفلوس الكبير، أخذ عن أحمد أجمل وعن أحمد التمكُدشتي، وكان فقيها مشهورا بالبركة يجول في التدريس، ولم يسمع بعد موته نحو سنة 1314 هـ بمدرس آخر هناك فيما نعلم، اللهم إلا في مبادئ ضئيلة.

## 98 مدرسة

(1)

## 99 مدرسة

(2)

---

1) ياض بالأصل

2) ياض بالأصل .

## 100 المدرسة التّيبوتية

تذكر قبل القرن الماضي، ومن مر بها العلامة أحمد الهوزيوي، وشهرته بالعلم طنانة، وهو شيخ الجماعة بعد الحضيكي، حتى قال تلميذه أبوزيد الاكشتيمي، لم أعرف اليوم من له بال في العلم إلا من الآخذين عنه إلا قليلا، وهذه شهادة، وجل دراسته بـ (تارودانت) وقد ترجمه تلميذه ترجمة حسنة في كتابه، «الحضيكيين»، توفي 1214 هـ، ومر فيها أيضا الحاج محمد الزيدي، لأن إبراهيم من رؤساء (تبيوت) والد القائد محمد بن إبراهيم ممن أخذ عنه، فاستقدمه لعمارة مدرستهم، وللقوم همة في العلم أمس واليوم، ومر أيضا هناك فيما سمعت الأديب محمد ابن الحاج الافراني ولكن الذي درس فيها كثيرا، وخرّج هو الأديب داوود الرسموكي، فقد أبطأ هنالك، وعهدنا به لا يزال فيها.

وبعد، فهذه مائة مدرسة ضمت غالب كبريات مدارس (سوس)، ومن درسوا فيها أخيراً<sup>(1)</sup> وليس مقصودنا أن نذكر المشاهير منها، وإلا لاحتجنا إلى زيادة مثل هذه الأرقام، ولا كان مقصودنا حشر كل ما يسمى مدرسة، فإن ذلك يصل إلى ما فوق ثلاثمائة أو أربعمائة، والدليل على ذلك أن في (هشتوكه) أكثر من عشرين كلها تذكر، ولم نذكر منها إلا نحو خمسة، وفي (هواره) اثنتا عشرة، ولم نذكر منها إلا واحدة، وفي (أيت بعمران) نحو عشرة، ولم نذكر إلا نحو ثلاثة، وفي (الأخصاص) نحو ثمانية، ولم نذكر إلا أربعة، وفي (مجاط) نحو سبعة، ولم نذكر إلا واحدة، وعلى هذا فليقس القارئ ليعلم أن قوله نحو أربعمائة، إنما ذهبنا مع أقل ما نتصوره قبل أن نحسب.

ثم إن كل ما يسمى مدرسة، فهو مهياً للعلم غالباً إلا قلائل، فهي لروايات القرآن، وقد يتداول القرآنيون والعلميون واحدة، لكن لا يحسن أيضاً القارئ أن كل مدرسة كانت عامرة في العهد الماضي فالأمر ليس كذلك، فإن العمارة المعهودة في الماضي تقاس بنحو المائة، والمدارس التي لا يكون فيها إلا العشرون تعد إذ ذاك غير عامرة، والعمارة في جبال (ولتية) وما يجاورها، أعظم منها في مدارس (سكتانة)؛ كما أن كثرة العلماء والتفوق تكون في تلك الجهة بالاجمال، وقد يكون في النواحي الأخرى واحد أعظم من كل علماء (ولتية) أو يساويهم، كالحسين اليعقوبي، ومحمد بن يوسف، ومحمد بن محمد الططائي، وأحمد ولده، ومحمد الأزنكاضي ولده، فإن هؤلاء يضاهون محمد بن علي بن سعيد الایلالني، وأحمد الجمل، وأبا سالم الاثري، والعربي الأدوزي وابنه، والتمكدشتي وأمثالهم

والحاصل أن العلم كان منتشراً في كل قبائل (سوس)، إلى أن تم القرن الماضي، فبدأ النقص أولاً من جهة، حتى أقفرت القرى العلمية كـ (الركن)

---

(1) سيجد القارئ في كتاب سوس العالمة ذكر لهذه المدارس أيضاً. (الناشر).

و (تزمورت) التي إزاء (طاطا)، محل هناك مشهور بكثرة العلماء، و (إرفالن) و (إمي نتاتلت) و (أقا إزنكاض) ثم زاوية (الهناء)، من علماء متفوقين إلا قليلا، ثم ما انتصف هذا القرن حتى لم يبق هنالك إلا قليلون جدا، ضعفاء بالنسبة لمن تقدموهم من المذكورين، وهذا ما وقع أيضا لـ (سكتانة) و(راس الوادي) فلم يبق هناك من العلماء المتقنين إلا أفراد، يدرجون واحدا فواحدا، ثم دب ذلك نفسه إلى جبال (وليتية)، وإن كان ذلك لا يظهر إلا للمفكر، فقد خلت المدارس من التدريس بالكلية، إلا قليلة لا تذكر بمناسبة غيرها، والههم كذلك مالت إلى احتقار العلم وأهله، وهذا السيل الجرار الذي بقى من وراء نقاية العلماء الدارجين، عن قليل سيمضي أيضا، فماذا تكون حالة (سوس) حينئذ ؟ ولم نعرف الآن من العلماء المحصلين المتمكنين الذين يستحقون هذا الوصف من شيوخ تلك الجهة إلا العلامة الطاهر الافراني وولده محمد، وأحمد بن صالح الافراني، وعبد الله بن محمد الالغي، وأحمد بن إبراهيم التكنتي، وعلي الجزولي التلمي، وأحمد بن محمد اليزيدي، وعبد الرحمن البزكارني، وعلي بن الطاهر الرسموكي، والحاج مسعود الوفاوي، ، وموسى الرسموكي القاضي، وداود الرسموكي، فربما لا تقدر أن تزيد في هذه الطبقة على هؤلاء إلا إذا أغمضت، ثم تحيء الحلبة الأخرى بعدها من الذين يدبون إلى الكهولة، فتجد مثل عيسى الأدوزي، والحسن بن مبارك البعقلي، والمدني بن علي والطاهر أخيه، وعبد الله بن إبراهيم، والحسن الحيسالي، ومحمد الحامدي، وأحمد بن سعيد الانتاري، وأحمد أزكاي، ثم تعد ما تعد فلا تصل من أمثال هؤلاء النجباء العشرين، وهذا كل ما كان، ولكن من الانصاف أن نعرف أننا منذ افتتحنا بالعلامة الطاهر نتدلى، وبين الطبقة التي ذكر معها وبين هذه درجات

انتهى

محمد المختار السوسي

لطف الله به



## فهرس الكتاب

- صورة المؤلف رحمه الله.....ص3  
تقديم.....ص5  
الفصل الأول نظام المدارس وكيفية التدريس بها ويتضمن ثلاثة أبواب

### الباب الأول مبحث القرآن

- 1 — المكاتب.....ص11  
2 — أجره المعلم.....ص12  
3 — نظام تعليم القرآن.....ص13  
4 — الراحة.....ص16  
5 — عادات تخلل ذلك.....ص18  
6 — تأديب المعلم.....ص21  
7 — الحزب الراتب.....ص25  
8 — كيف تلاوة القرآن.....ص33  
9 — كلمة عن ماضي تعليم القرآن وحاضره.....ص37  
10 — نزاهة الطلبة السنوية.....ص38

### الباب الثاني مبحث العلوم

- مقدمة هذا الباب.....ص47  
1 — أول مدرسة معروفة في سوس.....ص50  
2 — المدارس السوسية اليوم.....ص51  
3 — كيف تشاد المدارس؟ وبأي شيء يقوم أودها؟.....ص55  
4 — العلوم التي تدرس في القطر السوسي.....ص58  
5 — كيف الدراسة العلمية.....ص75

## الباب الثالث مبحث الديانة

موضوعه.....ص 85

### الفصل الثاني

في ذكر مشهورات المدارس من بين القبائل وذكر من كان درس فيها من العلماء المشهورين من الأحياء ومن الأموات

- 1 — المدرسة الاغيلانية.....ص 93
- 2 — المدرسة المزارية.....ص 93
- 3 — المدرسة المُحمّدية.....ص 93
- 4 — المدرسة الغُفريّة.....ص 93
- 5 — المدرسة الأخرية الهشوكية.....ص 94
- 6 — مدرسة إدامنو بهشوكة.....ص 94
- 7 — المدرسة الأغبالونية.....ص 94
- 8 — المدرسة المغدرية.....ص 94
- 9 — المدرسة التزيتية.....ص 95
- 10 — المدرسة الرُكاشيّة.....ص 95
- 11 — المدرسة الساحلية.....ص 95
- 12 — المدرسة التُكُربائية البعمرانية.....ص 96
- 13 — المدرسة البوكرية.....ص 96
- 14 — مدرسة الجمعة العبدلوية.....ص 96
- 15 — المدرسة التلعيتية الجمرية.....ص 96
- 16 — المدرسة الاغرمية الجمرية.....ص 97
- 17 — المدرسة البونعمانية.....ص 97
- 18 — المدرسة البوعبدلية.....ص 97
- 19 — مدرسة سيدي هو الحسن الأخصاصية.....ص 97
- 20 — مدرسة سيدي علي بن سعيد.....ص 98
- 21 — المدرسة اليزاكارية.....ص 98

22	— المدرسة الأمسرانية.....	ص 98
23	— المدرسة التغيجية.....	ص 98
24	— المدرسة الأدائية.....	ص 99
25	— المدرسة التانكرية.....	ص 99
26	— المدرسة الرخاوية.....	ص 100
27	— المدرسة التازروالية.....	ص 100
28	— المدرسة الأثارية.....	ص 101
29	— المدرسة التاغلولوية.....	ص 101
30	— المدرسة الأدوزية.....	ص 102
31	— مدرسة أفازور.....	ص 103
32	— مدرسة أفلاً أوكنس لال تركانين	ص 103
33	— المدرسة الأكضية.....	ص 103
34	— المدرسة المصتية.....	ص 104
35	— المدرسة الأماسية.....	ص 104
36	— المدرسة الأزازية البعقلية.....	ص 104
37	— المدرسة الانكيطائية.....	ص 104
38	— المدرسة الوفقاوية.....	ص 105
39	— المدرسة الالغية.....	ص 105
40	— المدرسة الاغشانية.....	ص 105
41	— المدرسة التارصواتية.....	ص 106
42	— المدرسة الامجورية.....	ص 107
43	— المدرسة التهالية.....	ص 107
44	— المدرسة البومروانية.....	ص 108
45	— المدرسة المولودية الرسموكية.....	ص 109
46	— المدرسة التزموتية.....	ص 109
47	— مدرسة دودرار الرسموكية.....	ص 110
48	— المدرسة التيزكينية.....	ص 111
49	— المدرسة الأخذالية.....	ص 111
50	— مدرسة ابن جرار الهشتوكية.....	ص 112

51	— المدرسة الكونكية الهشتوكية.....	ص 112
52	— المدرسة الايوركية.....	ص 112
53	— المدرسة الأزاريفية.....	ص 113
54	— مدرسة تيزي الاثنين.....	ص 114
55	— مدرسة إمي لتين.....	ص 115
56	— المدرسة التکشيتية الصوابية.....	ص 115
57	— المدرسة التالتية.....	ص 116
58	— المدرسة الفوخرضية.....	ص 116
59	— مدرسة توفتارثا.....	ص 116
60	— مدرسة آل تفراسين.....	ص 116
61	— مدرسة سيدي يعقوب بإيلالن.....	ص 116
62	— مدرسة بومهدي الايلانية.....	ص 117
63	— مدرسة تسدوغاس الايلانية.....	ص 117
64	— المدرسة التومليلية.....	ص 117
65	— مدرسة تسيل واسيف الايلانية.....	ص 118
66	— مدرسة ابرهيم بن عمرو.....	ص 118
67	— مدرسة.....	ص 118
68	— المدرسة الاكثيمية.....	ص 119
69	— المدرسة التافرواية التلمية.....	ص 119
70	— مدرسة تمزكيدواو اسيف بأيت مزال.....	ص 120
71	— مدرسة سيدي بوسعيد بتاسكڭدلت.....	ص 120
72	— المدرسة المرغية الأخصاصية.....	ص 120
73	— المدرسة التمنارتية.....	ص 121
74	— مدرسة زاوية الرسومكي الأقاوي.....	ص 122
75	— المدرسة التمكڭدشتية.....	ص 123
76	— المدرسة الوجانية.....	ص 124
77	— المدرسة التازالاحتية.....	ص 124
78	— المدرسة المهارونية بإسافن نايت هارون.....	ص 125
79	— المدرسة التكموتية.....	ص 125

80	— المدرسة الططائية.....	ص 125
81	— مدرسة تيميشا من قبيلة حميد.....	ص 126
82	— مدرسة إوزيون.....	ص 126
83	— المدرسة العليا التلية.....	ص 127
84	— المدرسة السفلى التلية.....	ص 127
85	— المدرسة الاكثيفية.....	ص 127
86	— المدرسة التاشركوستية.....	ص 128
87	— المدرسة الويساعدنية.....	ص 128
88	— المدرسة الأزارانية.....	ص 129
89	— مدرسة السراحنة.....	ص 130
90	— المدرسة الكرابانية.....	ص 130
91	— المدرسة الشراحيية.....	ص 131
92	— مدرسة بونرار من إخطاي.....	ص 131
93	— المدرسة التامازتية.....	ص 132
94	— مدرسة المنايزة.....	ص 132
95	— المدرسة البعيرية.....	ص 132
96	— مدرسة سطات.....	ص 132
97	— مدرسة إساكن.....	ص 133
98	— مدرسة.....	ص 133
99	— مدرسة.....	ص 133
100	— المدرسة التيوتية.....	ص 134
	خاتمة الفصل الثاني.....	ص 135
	فهرس الكتاب.....	ص 137

مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال  
المنطقة الصناعية - طريق تطوان ص. ب. 101  
الهاتف : 425.02 - طنجة



تحت المصبع

# رجال العلم العربي في سوس

من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر

رقم الجيداع القانوني

1987-306

المسبعة الأولى

1407 هـ - 1987

حقوق المصبع محفوظة لورثة المؤلف

مؤسسة التغليف والطباعة والنشر  
والتوزيع للشمال

المنطقة الصناعية - صهيبي تطوان -

ص.ب: 101 - طنجة

الهاتف: 422.02

الثن 30.00 درهما